آثار ظاهرة الغلو في التكفير على المجتمع السوري وطرق علاجها

أ. يوسف الحاج بكار*، د. سعدان بن مان**، د. شاهدرا بنت عبد الخليل***

سلم البحث في ١٤٤١/١٠/٢٠هـ بسم الله الرحمن الرحيم اعتمد للنشر في ١٤٤١/١١/٢٢هـ

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث الموسوم (آثار ظاهرة الغلو في التكفير على المجتمع السوري وطرق علاجها) الآثار التي تركتها جماعات الغلو في سوريا من الناحية السلوكية والفكرية، وطرق علاج تلك الآثار. يعرّف البحث أولاً الغلو والتكفير، ثم يشرح عوامل تشكل أهم جماعتين تفرعت عنهما كل تيارات الغلو في سوريا وهما (جبهة النصرة) و(تنظيم الدولة المعروف بتنظيم داعش). يعرض البحث بعد ذلك أبرز الآثار لانتشار ظاهرة الغلو في التكفير على المجتمع السوري، ثم يشير إلى الحلول المقترحة لعلاج تلك الآثار من الناحيتين العلمية والعملية.

الكلمات المفتاحية: الغلو – التكفير – سوريا – علاج.

Abstract:

The Effects of the phenomenon of the excessive declaration of disbelief, its impacts on Syrian society and methods for treatment

Researcher: Yousef Alhaj Bakkar

Associate Professor Dr. Saadan Man, Dr. Shahidra Abdul Khalil

Malaysia- Malaya University- Academy of Islamic Studies- Department of fiqh & Usul

This study entitled "The Effects of the phenomenon of the excessive declaration of disbelief and its impacts on Syrian society and methods for treatment" examines the behavioural and intellectual impacts caused by the extremist groups in Syria and suggests approaches for handling these effects. The research first defines (*Ghulu*) the excessiveness and (*Takfir*) the declaration of another Muslims as a non-believer and highlights the factors that contributed to the formation of the two main groups (*Nusra and ISL*) who caused the emergence of all radical groups in Syria. The researcher then sheds the light on the most implications of the excessive declaration of another Muslims as a non-believer on the Syrian society, and last of all, proposes ways for handling excessiveness mentally and practically.

Key words: (*Ghulu*) excessiveness- (*Takfir*) declaration of disbelief-Syria-Handling

* باحث بمرحلة الدكتوراه، بقسم الفقه وأصوله، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، ماليزيا. ybkkar@yahoo.com

** أستاذ مشارك، بقسم الفقه وأصوله، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، ماليزيا. saadan@um.edu.my

*** عضو هيئة تدريس بقسم الفقه وأصوله، أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا، ماليزيا. shahidra@um.edu.my

المقدمة:

بعد انطلاق الثورة السورية عام ٢٠١١، أخذت الأحداث منحاً عسكرياً، ووفدت أعداد كبيرة من (المهاجرين) إلى سوريا لمناصرة الشعب السوري ومساندته، وكثرت التنظيمات التي تشكلت في مناطق مختلفة من سوريا، وكانت تطلق على نفسها اسم (السلفيّة الجهاديّة). تنوعت هذه الجماعات بمسميات مختلفة ومناهج متباينة أهمها داعش والنصرة، إلا أن الجامع لها أنها تولدت بشكل أو بآخر من القاعدة، ومنها من تجاوز القاعدة وأعلن عدم التبعية لها لاحقاً. وقد عملت داعش على إسقاط جميع المرجعيات العلمية والدينية في سوريا، وتوسعت لتشمل مناطق واسعة في محافظات الرقة وحلب وريف اللاذقية وريف دمشق ودير الزور وحمص وحماة والحسكة وإدلب، واتخذت من محافظة الرقة عاصمة ومركزاً لها، وأقامت العديد من الدورات الشرعية في مناطق سيطرتها وكانت تدرس المواد التي تبث فكر الغلو والتكفير. وقد شعر العلماء والدعاة وقيادات الثورة بالحاجة لمواجهة الخطاب المتطرف بخطاب معتدل وسطي يتناسب مع سياق الواقع السوري. يعنى هذا البحث بتناول أهم آثار الغلو في أوساط المجتمع السوري، وطرق علاجه.

مشكلة البحث:

ما ماهية الغلو والتكفير، وما هي أهم آثار الغلو في التكفير على المجتمع السوري إبان الثورة السورية التي انطلقت عام ٢٠١١؟ وما هي أهم الجماعات التي غذَّت فكر الغلو في سوريا؟ وما هي الطرق العلمية والعملية لمعالجة آثار الغلو.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى إيجاد أجوبة على الأسئلة المطروحة في مشكلة البحث، وذلك ببيان ماهية الغلو والتكفير، والوقوف على أهم جماعتين وفدتا إلى سوريا وساهمتا في بث نزعة الغلو وتحفيزها في المجتمع السوري. يهدف البحث أيضاً إلى الكشف عن أهم آثار الغلو التي عانى منها المجتمع السوري، ويعرض وسائلَ علمية وعملية لمعالجتها.

منهج البحث:

يتبع البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، من خلال تتبع المسائل المتعلقة بالبحث من مظانها، وذلك بتأصيل المسائل عن طريق الرجوع للمصادر الأصيلة، ثم عرضها ومناقشتها، وكذلك بتتبُّع الدراسات والتحليلات التي رصدت نشأة ظاهرة الغلو

في أوساط المجتمع السوري، والوقوف على آثار هذه الظاهرة واقتراح الحلول المناسبة المستنبطة من القرآن والسنة والمصادر المعتبرة للحد منها.

حدود البحث:

البحث يتناول ظهور موجة الغلو في التكفير في سياق الواقع السوري المعاصر بعد انطلاق الثورة السورية عام ٢٠١١، وتحديداً بعد دخول الجماعات الجهادية وتجمُّعها في بداية ٢٠١٣، ثم تغوُّلها حتى عام ٢٠١٦ حيث تراجعت بعد ذلك بسبب التدخلات الدولية. ثم ما لبثت أن تفككت تماماً في عام ٢٠١٩.

وقد جاءت الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة:

المبحث الأول: ماهية الغلو والتكفير، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ماهية الغلو.

المطلب الأول: ماهية التكفير.

المبحث الثاني: آثار انتشار الغلو في التكفير على المجتمع السوري، وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: التهاون في تكفير المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم.

المطلب الثاني: إسقاط المرجعية العلمية.

المطلب الثالث: تشويه صورة الإسلام على المستويين المحلي والعالمي.

المطلب الرابع: الاستغناء بالجزئيات عن الكليات في ظل غياب النظرة المقاصدية.

المطلب الخامس: تشويه منهج الوسطية في الإسلام.

المطلب السادس: انتشار ظاهرة الجدل والتعصب للرأي.

المبحث الثالث: علاج الغلو في سوريا، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الحوار.

المطلب الثاني: إصلاح التعليم الديني.

المطلب الثالث: تجفيف منابع الظلم، وكفالة الحريات.

المطلب الرابع: ترسيخ دور المرجعية الشرعية.

المطلب الخامس: تمكين الخطاب الوسطي.

الخاتمة: تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول: ماهية الغلو والتكفير

المطلب الأول: ماهية الغلو

الغلو لغة: الارتفاع والمبالغةُ ومجاوزة القدر في كل شيء، وذكر الخليل أن قولَك: غالاه في السهام، أي: سابقه في رميها إلى أبعد مسافة ممكنة[١]. وغلا في الأمر غلواً أي جاوز فيه الحدَّ[٢].

الغلو اصطلاحاً: ذُكر مصطلح الغلو في القرآن الكريم في الحديث عن معتقد أهل الكتاب في السيد المسيح عليه السلام، قال تعالى:﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾[٣].

وعرف الإمام ابن حجر الغلو بأنه: "المبالغة في الشيء والتشديد فيه بتجاوز الحد"[٤].

ومن التعريفات المعاصرة للغلو، تعريف الدكتور محمد الزحيلي: " التشدُّد والتصلُّب في مجاوزة الحد المطلوب والمقدر شرعاً"[٥]. وعليه فإن الغلو: الزيادة على حدود ما قرره الشرع وقدّره بتشدّد وإفراط.

المطلب الثاني: ماهية التكفير

التكفير لغة: أصل الكُفر التغطيةُ على الشيء والسَّتر له، وورد أن وعاء كل شيء وما يغطيه ويستره يقال له كافور. والعرب تقول: قد كفرت المتاع في الوعاء أكفره كفراً: إذا سترته فيه. ويقال لليل: كافر، لأنه يغطي الأشياء بظلمته وعتمته. والكافر ذو كفر أي ذو تغطية لقلبه بكفره كما يقال للابس السلاح: كافر وهو الذي غطاه السلاح. ومثله: رجل كاس: ذو كسوة، وماء دافق: ذو دفق [٦].

قال ابن منظور: "والكافر: السحاب المظلم. والكافر والكُفر: الظلمة لأنها تستر ما تحتها،"[٧]. قال لبيد: يعلو طريقةَ متْنها متواتراً ... في ليلة كَفَرَ النجومُ غمامَها[٨]. أي سترت الغيومُ النجومَ.

التكفير اصطلاحاً: هناك تعريفات متعددة للكفر، وسيعرض البحث بعضها ثم يأتي بتعريف يجمع ما تفرق في سائر التعريفات، ثم يعرف بعد ذلك مصطلح التكفير. أورد الإمام القرطبي تعريفاً للكفر على ضوء تفسيره لقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[٩]. فقال: "الكفر ضد الإيمان وهو المراد في الآية"[١٠]. قال الراغب الأصفهاني: " والكَافِرُ على الإطلاق متعارفٌ فيمن يجحد الوحدانيّة، أو النّبوّة، أو الشريعة، أو ثلاثتها"[١١].

وهذه التعريفات رغم اختلاف ألفاظها وعباراتها لكنها تتفق في معانيها ومراميها، وعليه فإذا أطلق لفظ الكفر فإنما يراد به المعنى الاصطلاحي الشرعي لا اللغوي، لأن الألفاظ الشرعية تستعمل للدلالة على مراداتها دون احتمال أو تأويل. وعليه فيمكن تعريف الكفر بما يلي: إنكار ما ثبت في الشرع قطعاً بالقول أو بالفعل أو ما علم من الدين بالضرورة. وهذا يشمل الجحود القولي والتصرفات التي تؤدي إلى الكفر. والتكفير هو نسبة الشخص للكفر.

المبحث الثاني
آثار انتشار الغلو في التكفير على المجتمع السوري

قبل الحديث عن آثار الغلو في التكفير، لابد من التعريف بأهم تيارين ولَّدا هذا الغلو، وهما: جبهة النصرة وتنظيم داعش.

أولاً: جبهة النصرة:

أطلقت على نفسها بعد ذلك (جبهة فتح الشام) والتي أصبحت فيما بعد (هيئة تحرير الشام)، وقد وجدت في سورية بعد أشهر قليلة تلت انتفاضة الشعب السوري، ومن ثمَّ تحوّلت إلى جناح عسكري نشط في سورية، ومرّت بمراحل قوّة وضعف، وتحالفات وصراعات عديدة مع غيرها من القوى العسكرية. وهي في المحصلة من مخلفات القاعدة، استحلوا الدماء والحرمات، وجمعوا إلى ذلك فكر الخوارج في تكفير المسلمين والخروج على جماعتهم المتمثلة في بلاد الشام بعلمائها ومجلسها الإسلامي وهيئاتها الشرعية وفصائلها المجاهدة وتجمعاتها المدنية وعامة الأمة.

المؤسس: أسّس جبهة النصرة شخص يدعى (أبا محمد الجولانيّ)، سوري كان يدرس في مدينة دمشق، ثمَّ التحق بتنظيم الدولة في العراق، وهناك تعرّف على إبراهيم السامرائي (أبي بكر البغداديّ) زعيم تنظيم الدولة، الذي عيّنه قائداً لعمليّات التنظيم في محافظة نينوى، وبعدما انطلقت الثورة السوريّة، دخل الجولانيّ إلى سوريّة، وعقد عدّة اجتماعات في ريف دمشق وإدلب وحلب ودير الزور، والتقى عدّة شخصيّات من تنظيم القاعدة، وقام بتشكيل جبهة النصرة التي أعلن عنها في ٢٠١٢. وكانت في مراحلها الأولى تعمل على الاندماج مع الشعب السوري، وكسبت تعاطفاً وتأييداً في أوساط العديد من السوريين. وبقي الحال كذلك إلى أن دَبّ النزاع بين النصرة وداعش بعد إعلان داعش تبعية النصرة لها ورفض الجولاني لذلك، وبدأ

تكفير بعضهما لبعض، والاقتتال بين الطرفين. ولم يكن أتباع النصرة على قلب واحد، فمنهم من كانت لديه ميول تجاه داعش، ولذا رفضوا قتالهم ومواجهتهم، ومنهم من بقي تابعاً للقاعدة، ويأتمر بأمر أميرها (الظواهري)، ومنهم من كان يتسم بشيء من التوسط وعدم التسرع في التكفير أو مقاتلة الفصائل المخالفة لهم، وهذا التيار الأخير كان يواجه معارضة في التيار العريض للجبهة وأدى لفصل بعض أنصاره منها(١٢).

ثانياً: الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش)،

وهو فرع عن تنظيم القاعدة، وبدأ يظهر في سوريا بالتزامن مع تأسيس جبهة النصرة، وهو امتداد للدولة الإسلامية في العراق الذي شكله (أبو مصعب الزرقاوي) عام ٢٠٠٤، بعد الغزو الأمريكي للعراق. وكان هذا التنظيم يمارس نشاطه في حدود العراق، وبعد تأسيس النصرة في سوريا، أعلن (أبو بكر البغدادي) عام ٢٠١٣ عن دمج النصرة مع الدولة الإسلامية في العراق، وهكذا تشكلت النواة الأولى لما أطلق عليه لاحقاً (الدولة الإسلامية في العراق والشام)، وتم الإعلان عن (الخلافة الإسلامية). رفض الجولاني (قائد النصرة)، هذا البيان وأعلن مبايعته لتنظيم القاعدة في أفغانستان، وبدأت مرحلة الصراع بين التنظيمين، وبدأت الاتهامات بالتكفير من الطرفين، وتجاوزته إلى فصائل وأطراف أخرى تخالفهم في المنهج والتفكير. وبدأ الاقتتال بينهما، وارتكبت داعش الكثير من الجرائم بحق المخالفين لها، وأدت سياساتها التي انتهجتها إلى تشويه صورة الإسلام وارتفاع وتيرة ما يسمى بـ "الإسلاموفوبيا" (Islamophobia)، وبدأت موجة الاستنكار في العالم الإسلامي لما تقوم به داعش من قتل وسجن وتعذيب وإخفاء قسري لكل من يخالفها، ومكابرة ومعاندة، مع غلظة وشدة، وجهل بأحكام الدين، واستخفاف بالعلماء، ونقض للعهود، وإعراض عن الحوار. وظهرت الفتاوى من مراكز الإفتاء وروابط العلماء والمجامع العلمية والدعوية بتجريم داعش.

وفي المطالب الآتية عرض لأهم آثار الغلو في التكفير على المجتمع السوري:

المطلب الأول

التهاون في تكفير المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم

إن تكفير المسلم واستحلال دمه وماله يعد من أخطر ظواهر الغلو، ومثارات الغلط في التكفير عند الغلاة عائدة إلى قضيتين أساسيتين هما: "الحاكمية" و "الولاء والبراء".

فالغلو في هاتين المسألتين ناشئ من إطلاق الحكم دون تقييد، أو تعميمه دون تخصيص، ويغفلون تأصيل هذه الأحكام وتنزيلها على الواقع في السياق الملائم والظروف المناسبة. فأطلقوا حكم الكفر على أي شكل من أشكال الحكم بغير ما أنزل الله، ولو كان في القضايا الجزئية المتعلقة بهذين الأصلين. وقد مر تفصيل ذلك في الفصل الثاني، وما يريد البحث الإشارة إليه هنا هو التهاون الذي وصل إليه الغلاة في إخراج الناس من دين الله أفواجاً، فهم يكفّرون الحكام، والمحكومين، ويكفّرون العلماء، والقضاة، والمجالس البرلمانية، والهيئات الشرعية[١٣]، ويكفّرون من خالفهم، ومن لم يبايع خليفتهم، ويكفرون الفصائل التي لا تنضوي تحت قيادتهم، وحكموا على بلاد المسلمين بالردة والكفر عدا المناطق التي تحت حكمهم. يقول أبو عمر البغدادي (أمير تنظيم داعش في العراق): "وبما أن الأحكام التي تعلو جميع ديار الإسلام اليوم هي أحكام الطاغوت وشريعته، فإننا نرى كفر وردّة جميع تلك الدول وجيوشها، وقتالهم أوجب من قتال المحتل الصليبي"[١٤]. وقد خاض لجة التكفير وبلغ فيه غايته أبو بكر البغدادي الذي نَصَّب نفسه خليفة على المسلمين، فكفّر الحكومات في البلاد الإسلامية، وسار على نهجه أتباعه، يقول في كلمة له: "إن الحكام الطواغيت الذين يحكمون بلادكم في الحرمين واليمن والشام والعراق ومصر والمغرب، وخراسان والقوقاز والهند وأفريقيا وفي كل مكان، إنما هم حلفاء لليهود..."[١٥].

أصبح اتهام الناس بالردة والكفر أمراً هيناً، ويقذف به الغلاة من سار على غير نهجهم، وأدى هذا لما هو أعظم منه ذنباً وهو استباحة الدماء والأموال، وتهديد المقاصد الضرورية من حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. وهذا الإسراف في التكفير هو دأب الخوارج سابقاً، فقد كفّروا خيار الصحابة واستباحوا دماءهم، فقد قيل لابن عمر رضي الله عنه: "إن نجدة – وهو من الخوارج – يقول إنك كافر، وأراد قتل مولاك (أي نافع) إذ لم يقل إنك كافر، فقال عبد الله: كذب والله ما كفرت منذ أسلمت"[١٦]. وكانوا يعتقدون أنهم أحق بالجنة ومن سواهم في النار، فقد أورد الإمام اللالكائي عن محمد بن يعقوب بن الأصم يقول: طاف خارجيان بالبيت، فقال أحدهما لصاحبه: "لا يدخل الجنة من هذا الخلق غيري وغيرك"، فقال له صاحبه: "جنة عرضها كعرض السماء والأرض بنيت لي ولك؟ قال: نعم، فقال: هي لك، وترك رأيه"[١٧]. وقد رجع الكثير منهم عن هذا الفكر لغرابته ومنافاته للفطرة السليمة، إذ رجع

قريب من ألفين منهم في زمن علي رضي الله عنه بعد أن ناظرهم الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

وقد وصفهم النبي ﷺ بأنهم "يقتلون أهل الإسلام، ويدعون أهل الأوثان"[١٨]. وكانوا من أشد الناس تعبداً وتمسكاً بالشعائر من صلاة وصيام وتلاوة لكتاب الله، وقد ورد أنهم كان لهم في معسكراتهم دوي كدوي النحل من قراءة القرآن، ولكن أفكارهم الجانحة وآراءهم الفاسدة وقلة بضاعتهم في فقه الدين، جعلتهم يخوضون في الدماء والأموال ويخرجون الناس من الملة. وقد بث غلاة داعش وأضرابها الرعبَ في نفوس الناس، وارتكبوا أفظع الجرائم في المدن والقرى وأهلكوا الحرث والنسل، وابتدعوا طرقاً وأساليب لم يُسبقوا إليها في التعذيب كالإحراق بالنار، والإغراق بالماء، والصلب على قارعة الطريق، والإلقاء في الآبار، والقذف في الحُفر المهجورة والأودية السحيقة. وقاموا بسلسلة من العمليات الانتحارية، والإعدامات الميدانية دون تثبت، وكانوا يزرعون الألغام في الأماكن التي يفرون منها ولا تخفى العواقب الوخيمة لهذا السلوك الإجرامي. ولهذا ورد عن النبي ﷺ التحذير الشديد من رمي الناس بالتكفير، فمن ثبت إسلامه بيقين، لا يجوز اتهامه أو إخراجه من الإسلام إلا بيقين قطعي مثله. وقد ورد عن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: "بعثنا رسول الله ﷺ إلى الحُرقة من جهينة، قال: فصبَّحنا القوم فهزمناهم، قال: ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلا منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا الله، قال: فكفّ عنه الأنصاري، فطعنته برمحي حتى قتلُته، قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فقال لي: "يا أسامة، أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله" قال: قلت: يا رسول الله، إنما كان متعوذا، قال: "أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله" قال: فما زال يكررها علي، حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم[١٩]. وهذا الحديث فيه دلالة واضحة على تعظيم حرمة دم من قال لا إله إلا الله، وتعظيم إثم من قتل مؤمناً. فالنبي ﷺ لم يقبل من أسامة حجته في قتل ذلك الرجل، مع أن القرينة تشهد أنه قد يكون نطق بالشهادة فراراً من القتل، لكن النبي ﷺ عاتب أسامة أشد العتب على تأويله بأن الرجل نطق بالشهادة دون قصد الإيمان، ولم يقبل حكمه على نيته.

ولذا تضافرت النصوص على صيانة دم الآدمي عموماً أكان مسلماً أو غير مسلم، وحرمة دم المسلم آكد وأشد، وجعل الله سبحانه وتعالى قتل النفس الواحدة بغير حق كقتل الناس جميعاً. وقد قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "إن من ورطات

الأمور، التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها، سفك الدم الحرام بغير حله"[٢٠]. فإهدار الأرواح كان نتيجة للشبهات والتصورات الخاطئة التي جعلت الغلاة يستسهلون إطلاق أحكام التكفير وبالتالي الولوغ في الدماء المحرمة. وهذا من أشد آثار الغلو على الإطلاق.

المطلب الثاني: إسقاط المرجعية العلمية

لقد أولى الإسلام العلم والعلماء عناية بالغة، فحض على العلم وأثنى على العلماء، وحفز الهمم في خوض غمار العلوم بمختلف تخصصاتها، وعلى رأسها علوم الوحي، المتصلة بالكتاب والسنة، فالتفقه في الدين، وطلب العلوم الشرعية من أجَلّ ما يقوم به المسلم، ومن أفضل ما تُفنى فيه الأعمار، قال تعالى:﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾[٢١]، وقد مدح الله سبحانه وتعالى العلم وأهله، ورفع قدرهم، وأعلى منزلتهم، فقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٢٢]. فعلّة التكريم، وسبب التشريف هي العلم. ولا يخفى أن العلم لا ينفع إلا إذا مصحوباً بالعمل. وقد قال النبي ﷺ: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين"[٢٣].

ولما كان للعلماء دور ظاهر في بيان الأحكام، وتفسير غوامض المسائل، ورد الفروع إلى الأصول، والترجيح بين الأقوال، وسبر مناطات الأحكام وعللها، ودرء التعارض بين الأدلة، كانوا بمثابة حصن منيع في وجه التلاعب بالأحكام والخلط بين النصوص، وكان العلماء الثقات ولازالوا مصدر الهداية للمسترشدين، وخاصة في الأزمنة التي تعصف فيها الفتن، ويحار فيها طلاب الحق. كان العلماء دائماً يكشفون مناهج الغلاة ويبينون خطورة مسلكهم، ويفضحون جهلهم، وممارساتهم الشاذة، لذا كانوا مستهدفين دائماً من قِبل الغلاة الذين دأبوا على تشويه صورة العلماء، وحجب الشباب عنهم، وإشعال نار الفتنة بينهم وبين طلابهم والآخذين عنهم. وناصبوا العلماء العداء، فتارة يتهمونهم بالنفاق، وتارة بالردة والكفر، أو ممالأة السلاطين، قال سيد إمام: "... فهؤلاء المشايخ وأمثالهم، لا شك في ردتهم وكفرهم ... ولرضاهم بالكفر، ولعدم تكفيرهم للحكام الكافرين الذين دل الدليل على كفرهم"[٢٤] ووصل الأمر إلى استباحة دمائهم، فلقد حثت التنظيمات المتطرفة في سوريا أتباعها على اغتيال العلماء الذين وقفوا في وجه داعش وغيرها من الجماعات المغالية، فتم اغتيال الكثير من العلماء وطلاب العلم على أيديهم. وقد دعا تنظيم داعش علانية إلى اغتيال بعض

العلماء والدعاة في الغرب بدعوى أنهم أئمة الكفر ومرتدون من أمثال حمزة يوسف، وياسر القاضي، وبلال فيليبس، وصلاح الدين بيير فوجل، وصهيب ويب[٢٥]. والذي ثبت أن معظم شرعيي داعش مثلاً وقضاتهم لم يأخذوا العلم على أيدي العلماء، ولم يُعرف من سيرتهم الالتزام بطلب العلم، وكان أغلبهم من المجاهيل إما عيناً أو حالاً، وكان أغلبهم يخضع لبعض الدورات الشرعية السريعة، يقرأون فيها بعض الكتيبات التي تعنى بقضايا الولاء والبراء والحاكمية، وبعض قضايا الإيمان والكفر. ومن كان هذا شأنه فلا يحق له الفتوى حتى بصغار المسائل، ناهيك عن الدماء والأموال والأعراض وقضايا التكفير.

ومعلوم أن العلم لا يؤخذ إلا ممن شهد له أهل العلم بالعلم، قال الإمام النووي رحمه الله: "ولا يتُعلَّم إلا ممن تكمّلت أهليته، وظهرت ديانته، وتحققت معرفته، واشتهرت صيانته، فقد قال محمد بن سيرين ومالك بن أنس وغيرهما من السلف: هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم"[٢٦]. وقال الإمام الشاطبي رحمه الله: "والعالم إذا لم يَشهد له العلماء فهو في الحكم باق على الأصل من عدم العلم حتى يَشهد فيه غيره، ويعلم هو من نفسه ما شهد له به، وإلا فهو على يقين من عدم العلم أو على شك، فاختيار الإقدام في هاتين الحالتين على الإحجام لا يكون إلا باتباع الهوى"[٢٧].

وأقوال العلماء متضافرة على أن العلم لا يؤخذ إلا من الثقات، المشهود لهم بالعدالة. ولذلك حاولت التنظيمات المغالية إسقاط العلماء وإعطاب دورهم، والتقليل من مكانتهم في نفوس الناس، حتى تخلو الساحة لهم، وقد أخرج تنظيم داعش إصداراً بعنوان (فقاتلوا أئمة الكفر)، وكان هذا الإصدار يحمل دلالات واضحة على أثر العلماء في مواجهة الغلو والتطرف، ولذلك جاء الإصدار ناضحاً بالتكفير والدعوة إلى اغتيال الدعاة والعلماء الذين وقفوا حائط صد لمشروعاتهم وأفكارهم المتطرفة. وقد نفذت جماعات الغلو المتمثلة بالقاعدة وفروعها في سوريا والعراق سلسلة من الاغتيالات لثلة من العلماء وطلاب العلم. وهذا يظهر الدور الذي كان يقوم به العلماء في كشف عورة الغلو، والتصدي لانتشار هذا السلوك، ولذلك انتهج الغلاة العمل على إسقاط العلماء حتى يكونوا هم المرجعية التي تؤخذ عنها الأحكام ويستفتيها الناس في شؤون دينهم ودنياهم، لذلك توسع الغلاة في الحكم بردة وكفر العلماء واستباحوا دمائهم.

المطلب الثالث

تشويه صورة الإسلام على المستويين المحلي والعالمي

لقد أوكل الله سبحانه وتعالى إلى المسلمين مهمة إبلاغ رسالة الإسلام للعالم، وأمرهم بالحوار والجدال بالتي هي أحسن، وأقر مبدأ عدم الإكراه في الدين، ودعا المؤمنين أن يتمثلوا أخلاق الإسلام في الرفق والرحمة والوسطية في الدعوة، فحال الداعي إلى الإسلام كحال الطبيب مع المريض، يأخذه بالرفق واللين في مراحل العلاج والاستشفاء، قال الله سبحانه: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[٢٨]. وبين الله سبحانه أن الرحمة والتلطّف من أبرز صفات الداعي إلى الله، وأن الغلظة والشدة مدعاة للتنفير والصد عن سبيل الله، قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ ﴾[٢٩]. كما أن من صفات الداعي إلى الله ألا يستعجل قطف الثمرات، ولا يحمل الناس على دعوته كَرهاً، بل يتحلى بالحلم والأناة والوسطية، وأن يحسن طرق الخطاب، قال الله تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾[٣٠]. لأن الدعوة بالحكمة والأناة أدعى للإذعان وقبول الحق واستمالة القلب. وكان النبي ﷺ ينهى أصحابه الكرام عن التشدد والغلو، وتنفير الناس من الدين، قال عليه الصلاة والسلام لأبي موسى الأشعري ومعاذ بن جبل عندما أرسلهما إلى اليمن: "يسِّرا ولا تُعسرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا"[٣١]. وهذا نص صحيح صريح في وجوب التيسير، والرفق بالمدعو، وتيسير قبول الحق له، والابتعاد عن التنفير والشدة والغلظة. والآيات والأحاديث في وجوب اتباع أسلوب الرفق واللين مستفيضة.

أما ما تنتهجه جماعات الغلو من الجفاء والخشونة والفظاظة في حمل الناس على ما يعتقدونه، فإنه يبرر إلقاء تهمة الإرهاب والعنف والتطرف على الإسلام والمسلمين، كنتيجة لسلوك هذه الجماعات في تعاملها مع الناس، وقد ساهمت في تشويه صورة الإسلام بما تقوم به من عمليات قتل وتفجير وذبح، وإظهار ذلك عن طريق المنتجات الإعلامية المحترفة المليئة بالمؤثرات. وقد اعتمدت هذه الجماعات بالدرجة الأولى على الظهور الإعلامي المتكرر، وكانت الأجهزة الإعلامية تتسابق لنشر إصداراتهم من المقاطع المصورة التي يظهر فيها عمليات الذبح والحرق وتدمير البنى التحتية والمظاهر الحضارية، كالآثار التاريخية في سوريا والعراق مثلاً، مما

ساهم في خلق صورة قاتمة عن الإسلام والمسلمين حتى بين المسلمين أنفسهم، ناهيك عن غير المسلمين. فعندما ترتكب هذه الجماعات أعمال القتل والتفجير والحرق باسم الدين، يَسهل على غير المسلمين تصديق الآلة الإعلامية التي تتبنى هذه الدعوى، وتجد هذه الأجهزة الإعلامية مبرراً في تعميم وصف الإرهاب والغلو على المسلمين، وترسيخ صورة ذهنية عن الإسلام مرتبطة بالإرهاب والعنف.

يعيش في الغرب ما يقارب ثلاثين مليون مسلم موزعين بين الاتحاد الأوروبي وأمريكا وكندا ونيوزيلاندا وغيرها، غُرِّر بسبعة آلاف منهم فالتحقوا بتنظيم داعش، لكن هذا العدد المحدود على قلته، ساهم في إضافة تحد جديد للجاليات المسلمة وعلاقتها مع غير المسلمين، وتشويه صورتها حول العالم وخاصة في الغرب بسبب الآلة الإعلامية القوية(٣٢). فقد ازدادت الهجمات المعادية للمسلمين، وتم استهداف المساجد والمراكز الإسلامية، وتنامت ظاهرة التخويف من الإسلام. وقد تزايدت المطالبات من المنصفين ومن الجاليات المسلمة للمنظمات الدولية كالأمم المتحدة، ومنظمة التعاون الإسلامي، ورابطة العالم الإسلامي، ومنظمات المجتمع المدني في تلك البلدان، للتدخل واتخاذ خطوات عملية للحد من الممارسات العنصرية ضد المسلمين. ونتيجة لذلك فقد أعاقت هذه التنظيمات المغالية والتكفيرية المشاريع الدعوية والأعمال الخيرية التي تهدف إلى نشر الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، وإلى إظهار الإسلام بصورته الناصعة، ديناً قابلاً للحياة وعمارة الأرض، وجلب المصالح ودرء المفاسد، وتحقيق سعادة الإنسان.

المطلب الرابع

الاستغناء بالجزئيات عن الكليات في ظل غياب النظرة المقاصدية

الشريعة الإسلامية باعتبارها وحياً إلهياً، لها أهداف وغايات تتمثل بجلب المصالح ودرء المفاسد، وتحقيق العدل، والطمأنينة والاستقرار. ولكن لا يمكن الوصول إلى تلك الغايات والمقاصد بالاطلاع على النصوص المتناثرة واستنباط الأحكام الجزئية منها، دون النظر إلى القواعد الكلية لتلك الأحكام على ضوء المقاصد الشرعية. وما وقع به الغلاة أنهم إذا عثروا على نص يفيد ظاهره حكماً ما، تمسكوا به وأعملوه دون أن يعرضوه على النصوص الأخرى مما يعين على فهم ذلك النص وتفسيره على وجه الصواب، وإنزاله على الواقع تنزيلاً صحيحاً. وهذا لا يتأتى إلا لمن نهل من علم المقاصد حتى ارتوى، فهو العلم الذي لا يستغني عنه المشتغل بالعلوم

الشرعية سواء كان مفسراً أو فقيهاً أو مفتياً أو قاضياً. والجهل بالمقاصد يوقع المرء في تخبط في فهمه للأحكام وعللها وغاياتها وطرق تطبيقها، وتجعله يضرب النصوص والأحكام بعضها ببعض، وتتداخل عنده الفروع والأصول، والجزئيات والكليات، أما من عَلم القواعد الكلية، ومقاصد الأحكام فقد يسهل عليه تنزيل تلك الجزئيات على الوقائع والظروف، قال الإمام الشاطبي رحمه الله: "ومن جعل يخرج الفروع بالمناسبات الجزئية دون القواعد الكلية تناقضت عليه الفروع واختلفت وتزلزلت خواطره فيها واضطربت، ... ومن ضَبط الفقه بقواعده استغنى عن حفظ أكثر الجزئيات لاندراجها في الكليات"(٣٣). ولذا لابد من اعتبار الكلي والجزئي في كل القضايا والمسائل، ويتوجب إدراك العلاقة بينهما، ومن جهلها فقد جهل مقاصد الشريعة، ومن جهل المقاصد فليس له حظ من الفقه، لأنه جهل بآليات التوفيق بين النصوص عند التعارض، وجهل بآليات الترجيح، وهذا يؤدي للخطأ والخلل في التنزيل. ومن أهم آثار الغلو غياب النظرة المقاصدية للأحكام، ولذلك يتم التركيز على الجزئيات بمعزل عن كلياتها، فتتضخم في أذهان الغلاة بعض القضايا التي تحتضنها الأدلة ويُتَوسع فيها، فيضيقون فيها على الناس، ويتهاونون في المهمات التي يتحتَّم فيها الاحتياط والحذر، ويتجلى ذلك على سبيل المثال لا الحصر في المسائل الآتية:

أولاً: لبس الثوب القصير للرجال: فقد بالغت الجماعات المغالية بالتمسك به وخاصة تنظيم داعش في أماكن سيطرته، فقد عدّوه من إشارات المسلمين، وفرضاً لازماً لا مناص منه، وحجتهم في ذلك عدم التشبه بالكفار، وأن هذا هو اللباس الإسلامي، واستدلوا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: "ما أسفل من الكعبين من الإزار ففي النار"(٣٤). ولكن شراح الحديث بينوا أن هذا من المطلق الذي قيَّده قصد الخيلاء والكِبر، فما لم يكن كذلك فلا مانع منه(٣٥)، ولذا عندما سمع أبو بكر الصديق رضي الله عنه النبي ﷺ يحذر من جر الثوب خيلاء، تحرَّج وقال يا رسول الله: "إن أحد شقَّي إزاري يسترخي، إلا أن أتعاهد ذلك منه؟" فقال النبي ﷺ:"لستَ ممن يصنعه خيلاء"(٣٦)، فلابد إذن من اعتبار حال الأشخاص قبل إطلاق الأحكام. أما القول بأن لبس غير الثوب من التشبه بغير المسلمين، فهذا ظاهر التهافت، وقد كان النبي ﷺ يرتدي أحسن ما يوجد لديه من الثياب، ولبس أثواباً أهديت إليه من نجران، ومن اليمن، ولبس الكساء، والأنبجانية(٣٧)، وكان يلبس القميص والعمامة، والإزار

والرداء، ولبس الصوف والقطن والكتان[٣٨].

وكل هذا دليل على أن اللباس من الأمور المباحة طالما أنه ساتر للعورة وليس لباساً دينياً خاصاً بغير المسلمين، فما وجه التشدد والتضييق في هذا الأمر؟!

ولم يقتصر الأمر على الرجال، وإنما تم فرض نقاب الوجه على النساء، وحملهنَّ على لبس الجلباب أو العباءة السوداء تحديداً. مع أن الأصل العام في زي المرأة أن يكون ساتراً لما أمر الله بستره. إن انتشار مظاهر التدين في سوريا ليس أمراً جديداً، فالشعب السوري بطبيعته يميل للتدين، وأغلب نسائه يرتدين الحجاب، أو النقاب طواعية، أما ما مارسته التنظيمات المغالية وعلى رأسها داعش عن طريق مؤسسة "الحِسبة" فهو من باب ممارسة السلطة، وفرض السيطرة على كل تفاصيل الحياة العامة، وتطبيق الوصاية الدينية على المجتمع.

ثانياً: تطبيق الحدود في أوقات الحرب: إضافة للظروف القاهرة التي كان يعاني منها السوريون بسبب أجواء الحرب وفقدان الأمن والاستقرار، مع ارتفاع البطالة والفقر، ومن جرّاء الأوضاع المعيشية البائسة، جاء أصحاب الفكر المأزوم – كتنظيم داعش وغيره من التنظيمات المغالية – فضيقوا على الناس في معايشهم، وقيدوا حرياتهم، وشاركوا الناس في أرزاقهم وسُبل عيشهم، ووصل الأمر إلى غايته في تعطشهم واستعجالهم في تطبيق الحدود الشرعية، فبدأوا بقطع الأيادي وجلد الناس ورجمهم وصلبهم في قارعة الطرقات، في بيئة مليئة بالظنون والشبهات، وقد قال عمر رضي الله عنه: "لأن أعطل الحدود بالشبهات أحب إلي من أن أقيمها بالشبهات"[٣٩]. فقاعدة (درء الحدود بالشبهات) من القواعد الأساسية التي نجد تطبيقاتها في فروع الفقه، وهو أصل معمول به منذ زمن النبي ﷺ والصحابة والتابعين ومن بعدهم. فقد أوقف عمر رضي الله عنه حد السرقة في عام الرمادة، مراعاة للشدة التي مر بها الناس، وقلة ذات اليد.

معلوم أن العقوبات في الشريعة الإسلامية تقسم إلى نوعين: عقوبات محددة ومقدرة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وهي الحدود التي فرضتها الشريعة لمن ينتهك أو يهدد إحدى الضروريات الخمس، وهي الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال. فحفاظاً على هذه المصالح الضرورية، أناطت الشريعة بها عقوبات رادعة تعظيماً لشأنها، وهي قتل المرتد الخارج عن الجماعة، وقد شرعه الله حفظاً للدين، والقصاص،

وقد شرعه الله حفظاً للحياة من العدم، وحد شرب الخمر، وقد شرعه الله تعالى حماية للعقل. وحد الزنا، وحد القذف، وقد شرعهما الله سبحانه حفاظاً على الأنساب، وحماية للفضيلة في المجتمع، وحد السرقة، والحِرابة، وقد شُرعا حفظاً للأموال. والنوع الثاني هو العقوبات غير المقدرة، أي لم يرد فيها عقوبة معينة محددة من الشارع، فيرجع تقديرها إلى الحاكم، شريطة ألا يتجاوز بها حداً مقدراً، وذلك حسب ظروف الجريمة وظروف الجاني، وهو ما يطلق عليه الفقهاء التعزير. ولابد قبل تطبيق الحدود من توفر شرطين أساسيين:

الشرط الأول: أن تتوفر بيئة ملائمة تعين على تنشئة المسلم تنشئة مستقيمة، وأن يتهيأ المناخ بحيث تستعد الأذهان والنفوس لتقبل هذه الأحكام ثم الانقياد لها رغبة وتطوعاً. فيجب إزالة العوائق والشبهات التي تشوش عقول الناس حول أحكام الشريعة، وقد تصدهم عن قبولها والتحاكم إليها.

الشرط الثاني: إقامة نظام متكامل يكفل الحقوق، فيطعم الجائع، ويُعلم الجاهل، ويكسو العاري، ويأوي المشرد، ويوظف الطاقات، ويوزع الثروات بشكل عادل، وييسر سُبل العفاف، ويأمن فيه الناس على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم. فلا يقام الحد على من سرق لسد جوعته، ولا يعاقب الزاني إلا إذا استهتر بدين المجتمع وأخلاقه فرآه أربعة شهود، لذا لا تُطبق هذه الحدود إلا إذا تيقن القاضي أن الجاني قد ارتكب الجريمة دون شبهة أو شدة أو دون إثم أو بغي، ولذا تدرأ الحدود بالشبهات. وهذا هو الشأن في نظرة الشريعة للعقوبات التي قررتها، فهي تحمي المجتمع أولاً من دوافع الإجرام، وتدفع العقوبة عن الجاني إذا كان هناك شبهة أو اضطرار. فالحدود في الإسلام إنما هي سور منيع لحماية الحرمات والحقوق والمصالح التي بها قوام الدين والدنيا. أما القفز إلى إقامة الحدود دون مراعاة لهذه الضوابط والظروف فهو مجرد وهم، وعناية بالشكل دون المضمون، وهذا ما فعله تنظيم داعش مثلاً، فقد حصر الشريعة بتطبيق نظام العقوبات، وغالى في الحديث عنها وتصويرها، وجعلها حجة على شرعيته، وفي هذا إساءة بالغة للشريعة الإسلامية وأحكامها.

ثالثاً: إعلان الجهاد العالمي: يعيب أصحاب الفكر المأزوم على غيرهم أنهم يحصرون الجهاد في مناطقهم أو بلدانهم، وهم يرون الخروج على العالم كله بدعوى الجهاد، وهم بذلك يتجاهلون الواقع والتغيرات التي تحدث من حولهم، فهذا العصر هو

عصر التحالفات الدولية، والتكتلات الإقليمية لجلب المصالح ودرء المفاسد. والواقع اليوم يقتضي أن يلتفت الإنسان إلى ما حوله ليدرك حركة التاريخ، ويحتم على المسلمين قراءة جديدة في ضوء كليات الشريعة، فهذا الواقع مليء بالاتفاقيات والمعاهدات الدولية، ولا مناص من الاعتراف بالحدود الجغرافية، والتعددية الدينية والثقافية والعرقية. فعالم اليوم يتطلب البعد عن حالة العداوة الموروثة بين المسلمين والكون، وتتحول العلاقة إلى شراكة مع الأمم الأخرى في بناء الكون ونهضته. والنبي ﷺ لم يواجه العالم كله، بل وادع البعض، وقاتل من قاتله، وصالح أقواماً وعاهد آخرين. فالأصل في الجهاد أنه تدبير سلطاني يرجع تقديره لولي الأمر العادل حسبما تقضيه المصلحة، فقد يكون دفاعياً صِرفاً، وقد تستدعي المصلحة إعلانه ابتداءً صداً لخطر محدق من عدو معلوم. فالجهاد بهذا الوصف ليس هجومياً يؤدي للظلم والبغي والعدوان، وليس دفاعياً فقط، وهو ليس غاية في حد ذاته، بل وسيلة أناطها الله سبحانه وتعالى بالحاكم العاقل العادل. والناظر في أبواب الفقه والسياسة الشرعية سيجد الأحكام المتنوعة التي تتناول أحكام الصلح، والموادعة، والهدنة، والبر والتعامل بالحسنى مع المخالف في العقيدة. وقد مر في البحث أن البعض ادعى نسخ آية السيف لآيات الموادعة والصفح والعفو، والآيات التي تحث على الإحسان والتواصل مع غير المحاربين من غير المسلمين، وبعضهم توسع فأوصلها إلى مائة وأربع وعشرين آية، وجعلوها ناسخة بما في ذلك الآيات المحكمة التي تدعو لمحاسن الأخلاق وأمهات الفضائل ، كقوله تعالى: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [٤٠]. وقد نقل الإمام القرطبي أراء أهل التفسير في النسخ، ثم ذهب إلى أنها محكمة والعمل بها باق حسب السياق[٤١]، وذلك لأن النسخ لا يصار إليه إلا إذا تعذر الجمع، والجمع ممكن هنا، إذ يعمل بآيات الصفح والموادعة في سياقها مع المسالمين، وهذا فيه دعوة لدين الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وبالأخلاق الرفيعة، أما من ناصب المسلمين العداء، وتربص بهم، وتآمر عليهم، وقاتلهم، فتُعمل آية السيف معه في هذا السياق. وإلى ذلك ذهب الإمام الزركشي رحمه الله فقال بأن آيات الإحسان والعفو يعمل بها في موضعها، إذا توفرت العلة التي توجب ذلك، ويُنتقل إلى الحكم الآخر وهو السيف إذا دعت العلة لذلك، وذكر أن قول المفسرين بالنسخ ضعيف[٤٢]. وبهذا يظهر الغلو في الخروج على العالم كله بدعوى إعلان الجهاد، وأنهم حاملوا لوائه، ويجب على

الجميع مبايعتهم، والنزول عند حكمهم. والحقيقة أن ما يقوم به الشعب السوري هو من باب دفع الصائل، وهو مما لا يجب فيه إقامة الدولة – كما يطالب تنظيم داعش – ولا أن يبسطوا سيطرتهم على المقرات والمدن، ولا أن يسلبوا الناس مقدراتهم ومساكنهم. وقد ذكر الإمام ابن تيمية رحمه الله أن قتال الدفع هو من أشد أنواع دفع الصائل ولا يشترط له أي شرط، بل يجب بحسب الإمكان(٤٣)، وقد دأبت هذه التنظيمات المغالية على السعي إلى السيطرة على أي مكان تكون فيه مقاومة للظلم أو مطالبة بالحقوق، فيستولوا على ثرواته ويختطفوا ثورته، ويرفعوا شعاراتهم، ويعلنوا فيه الجهاد العالمي، ويتهمون من لا يبايعهم بالردة والكفر. وهم في الأصل مجهولون قيادة وأفراداً، فأسمائهم الكنى، وهم ملثمو الوجوه، إذ لا تُعرف هوياتهم، وهذا من التكلُّف المذموم والإلزام بما لا يلزم.

المطلب الخامس: تشويه منهج الوسطية في الإسلام

لقد رسَّخ الإسلام مبدأ الوسطية في نفوس المسلمين، والناظر في القرآن الكريم والسنة النبوية، يجد منهجاً متكاملاً ومتوازناً لتطبيق هذا المبدأ. فالإسلام وسط في الاعتقاد، والعبادة، والأحكام التكليفية، وفي نظامه الأخلاقي، وفي التوازن بين الفرد والجماعة، حيث أكد على التيسير ورفع الحرج، وأمر بالتبشير ونهى عن التنفير، ورفع من شأن العقل وجعل التكاليف منوطة به، ورفع القلم عن أصحاب الأعذار، ودعا إلى الاعتدال وحذّر من الغلو والتطرف والتنطع، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾(٤٤). ويراد بالوسط العدل، فالأمة الإسلامية تقف موقف الاعتدال بين الأمم، فهي لا تغالي في دينها كما فعل النصارى مع نبي الله عيسى عليه السلام، ولا تفرِّط وتقصر مع أنبيائها كما فعل اليهود، وكلا الإفراط والتفريط أمر مذموم. والاعتدال هو التوسط بين طرفين، وفي هذه الآية إشارة إلى فضيلة تحلّي المسلمين بالتوسط والاعتدال. قال الإمام أبو السعود: "والوسط في الأصل اسم لما يستوي نسبة الجوانب إليه كمركز الدائرة، ثم استعير للخصال المحمودة البشرية لكن لا لأن الأطراف يتسارع إليها الخلل والإعواز والأوساط محمية محوطة ... بل لكون تلك الخصال أوساطاً للخصال الذميمة المكتنفة بها من طرفي الإفراط والتفريط"(٤٥). وانتهاج التوسط دليل الخيرية، قال تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ ﴾(٤٦)، وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَوۡسَطُهُمۡ أَلَمۡ أَقُل

لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾[٤٧] أي أفضلهم رأياً وأعدلهم مشورة وأرجحهم عقلاً. ووردت أحاديث كثيرة تنهى عن الغلو وتحذر منه، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "هلك المتنطعون" قالها ثلاثا[٤٨]. والمتنطعون هم المغالون والمتشدقون والمتكلفون المجاوزون للحدود في حالهم وقالهم. وفي هذا إنذار بهلاك الغلاة في الدين. ولهذا كان النبي ﷺ يصوِّب أي سلوك يجنح فيه صاحبه للغلو، كما أنكر على النفر الثلاثة الذين تعاهدوا على المبالغة في الزهد والتعبد.

هذا المنهج الحكيم يغيب عند الغلاة، ولذا تراهم ينزعون إلى التشدد في الأقوال والأفعال، وما خُيِّروا بين أمرين إلا اختاروا أشقَّهما على النفس، وقدموا التعسير على التيسير، مع فظاظة في الوعظ، وقسوة في الطباع، وقصور في الفقه، وخطأ في التصور. وكان لهذا السلوك آفات وخيمة العواقب على المجتمع، منها:

أولاً: النفور من التدين ومن مظاهره، وخاصة عند عامة الناس الذين لا يملكون أدوات التمييز بين ما هو تدين شكلي وما هو حقيقي يمثل روح الإسلام وجوهره. وقد غضب النبي ﷺ عندما اشتكى إليه أحد الصحابة إطالة الإمام، فقال: "يا أيها الناس إن منكم منفّرين، فأيكم ما صلّى بالناس فليوجز، فإن فيهم الكبير، والضعيف، وذا الحاجة"[٤٩]. فأنكر النبي ﷺ على الإمام تطويله بالصلاة لأن في ذلك تنفيراً للناس عن حضور الجماعة. فتطويل الصلاة والقراءة هنا لا تُعد قربة، بل مغالاة منفرة.

ثانياً: انتشار العنف، فنابتة الغلو في المجتمع كانت سبباً في تفريق الصفوف، والانقسام بين أبناء المجتمع بين مؤيد لجماعات الغلو ومعارض لها، وتلاشت لغة الحوار والجدال بالحسنى، وتم فرض الآراء قهراً أحياناً وبالسلاح أحياناً أخرى. وانتشرت حالات الخطف والاغتيالات والإعدام دون محاكمة أو رقابة.

ثالثاً: الرجوع عن التدين، فالغلو في الدين ينشأ من حماس منقطع النظير، أو أزمة نفسية، والإنسان له قدرات محددة، وطاقات محصورة، فإذا شدد على نفسه وأرغمها على سلوك ينافي الفطرة والطبع السليم، فقد تستجيب له بداية، ولكنها تسأم سريعاً، وتصاب بالفتور والملل، فتجنح في النهاية إلى التفلّت والانعتاق من التكاليف. ولذا لابد من التدرج مع النفس في حملها على مزاولة الطاعات، وتدريبها وترويضها على فعل القربات. وكثير ممن جرفه تيار الغلو في أوج تمدده، تشدد وتطرف، ثم انقلب على أعقابه بعد انحساره. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:

"يا أيها الناس، خذوا من الأعمال ما تطيقون، فإن الله لا يمل حتى تملوا، وإنّ أحبّ الأعمال إلى الله ما دام وإن قل"(٥٠). فأرشد النبي ﷺ إلى القيام بالأعمال التي يمكن المداومة عليها، وهذا يراد به الاعتدال في الطاعات وأنواع البر كلها، والابتعاد عن المغالاة والمشقة فيها، وأن ثمرة القليل الدائم تزيد على الكثير المنقطع(٥١).

الخلاصة، لقد كان للغلو أثر في تشويه مبدأ الوسطية في الإسلام، ولكن هذا التشويه لا يدوم لأن الوسطية في الإسلام ليست شعاراً مجرداً، أو مبدأً نظرياً، بل هي خاصية من خصائص الإسلام، عقيدة، وعبادة وتشريعاً، وآداباً، وأخلاقاً، ومنهج حياة. ولا تخفت أصوات الغلاة إلا بفتح الباب للدعاة والعلماء والمصلحين، وتمكينهم من صياغة الخطاب الإسلامي الذي يحافظ على الثوابت، ويراعي المتغيرات، ويفقه الأولويات، ويوازن بين الواجبات والممكنات، فإن الغلو لا ينبت إلا في بيئة يسودها الجهل والكبت، ولا يُعالج الجهل إلا بالتزود بالعلم النافع، ولا يتوارى التطرف والغلو إلا في أجواء الحرية والحياة الكريمة.

المطلب السادس: انتشار ظاهرة الجدل والتعصب للرأي

من أبرز آثار الغلو ظاهرة الجدل في الدين، والاختلاف على الثوابت، والحجر على المخالف في الرأي في المسائل التي تحتمل الاختلاف، واتهام المخالف بالجهل، والابتداع، وقد يصل الأمر إلى اتهامه بالردة والكفر. وأجاز الغلاة لأنفسهم الخوض في قضايا الاعتقاد والفقه والتفسير التي تحتاج لفحول العلماء وجهابذتهم من أجل فهمها والاستنباط منها، فخوّلوا أنفسهم للخوض فيها، ولم يعطوا حتى حق الحديث لمن يرى غير رأيهم، أو يذهب غير مذهبهم، ويزيد الأمر خطورة عندما يكون المغالي مسلحاً أو ذا مكانة قيادية، فقد يتحول الخلاف في الرأي إلى جناية يدفع فيها المخالف حياته ثمناً. فقد اغتالت داعش – كما مر – الكثير من العلماء وطلاب العلم، لعدم موافقتهم لهم في الفتاوى والأحكام والسلوكيات التي فرضوها على عامة الناس.

وقد حذر الإسلام من الجدل بغير علم وذمَّه، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾(٥٢)، وهذا فيه ذم للحديث بغير علم ولا برهان. وقال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(٥٣)، وقد

ورد الأمر بالجدال لمن يمتلك الحجة والبرهان والهدي السماوي، قال تعالى:﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾[٥٤]. ونهى الله سبحانه وتعالى عن التقول عليه، وأنذر من يسلك هذا المسلك بالهوان والعذاب، قال تعالى:﴿ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾[٥٥]. وقد ورد عن الإمام الأوزاعي رحمه الله: "بلغني أن الله إذا أراد بقوم شرًّا ألزمهم الجدل ومنعهم العمل"[٥٦]. وعن الإمام مالك رحمه الله قال: "الجدال في الدين ينشئ المراء، ويذهب بنور العلم من القلب ويقسّي، ويورث الضغن"[٥٧]. وورد عن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: "إياكم والخصومة، فإنها تمحق الدين"[٥٨].

وقد نهى الإسلام عن التعصب الأعمى، لما يحدثه من آثار سلبية كإثارة الفتن، والتحريش بين المؤمنين، والتباغض والتحاسد، وسفك الدماء بين الناس، وسلب الآخرين الحقوق التي أقرها لهم الشارع، وعلى رأسها حق الدعوة والحوار والجدال بالتي هي أحسن. ولسان حال الغلاة: لا نريكم إلا ما نرى، ورأينا صواب لا يحتمل الخطأ، أما رأيكم فهو خطأ لا يحتمل الصواب. وقد كانت هناك محاولات للحوار والنقاش مع الغلاة، ولكنهم واجهوها بالصد والرفض، والغدر أحياناً. واستمرؤوا الجدال والمراء، وكانوا يرمون غيرهم بالجهل والتقصير، في بيئة محمومة بتصيِّد الأخطاء، والتنقيب عن الهفوات، والابتهاج والفرح بالزلات، والحكم على المقاصد والنوايا، وحمل الألفاظ على غير وجهها. ولو جاز اتهام المخالف في الرأي، لما سَلِم من ذلك عالم، ولا مجتهد. قال الإمام الذهبي رحمه الله: "ولو أنا كلما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأً مغفوراً له، قمنا عليه، وبدَّعناه، وهجرناه، لما سلم معنا لا ابن نصر، ولا ابن مندة، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوى والفظاظة"[٥٩]. وليت الأمر توقف عند التبديع والهجر مع غلاة العصر، بل حرك التعصب في نفوسهم مشاعر العداوة والبغي، مع حِدة مفرطة في ردود الأفعال، وكِبر وإعجاب بالنفس، وغِلظة وخشونة مع المخالفين، وصل إلى الحكم بالردة، والقتل، والاستيلاء على الأموال. وهذا في غاية التناقض مع هدي القرآن والسنة ومناهج المصلحين من انتهاج مبدأ اللين والرفق في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المبحث الثالث
علاج الغلو فى سوريا

يُحدث الغلو أثراً بالغاً على مستوى المجتمع، وأخطر مراحله عندما يتحول من أفكار حبيسة الذهن في فضاء الفكر، إلى بيئة تحتضن هذه الأفكار، وتدفع بأصحابها إلى الإفساد وانتهاك الحرمات، وإزهاق الأرواح، ومصادرة الحريات، فيصبح خطراً يهدد حياة الناس واستقرارها. لقد عانت الساحة السورية من الغلو الجماعي المتمثل بالتنظيمات التي وفدت إلى سوريا من وراء الحدود بعد عام ٢٠١٢، وكانت السمة العامة لهذه التنظيمات – كما ذكرنا – هي التعصب للرأي، والغلو في الدين، والجهل بمقاصد الشريعة، والوقوف عند ظواهر النصوص، وعدم التفريق بين أصول الدين وفروعها، فلبّسوا على الناس، وجذبوا الشباب المتحمس بطاقاته المعطلة للانضمام إلى صفوفهم، وجنّدوهم في مشاريعها الغامضة، فما زادوا الواقع السوري إلا رهقاً. لذا كان لزاماً التصدي لهذه الظاهرة، بدلاً من التعامل مع آثارها فقط، ولكن يجب التعامل معها بحكمة وروية، من أجل تجفيف منابعها، وعلاجها بمبضع الجراح لا بساطورة الجزار، وفيما يلي خطوات مقترحة لعلاج مشكلة الغلو.

المطلب الأول: الحوار

أولى مراحل العلاج الجاد للغلو يتمثل في تبنِّي مبدأ الحوار، فالحوار هو الوسيلة الناجعة للوقوف على مواطن الخلل الفكري، وإظهار المنهج القويم العلمي في الفهم والاستنباط، وإن استعمال العنف المقابل يزيد الأمر تعقيداً، بل يجعل من الغلاة أبطالاً وأصحاب مظلومية، فيكسبوا تعاطف الشباب المندفع، فتزيد الهوة ويتسع الخرق على الراقع.

إن التعامل الأمني الصارم مع الغلاة كخطوة أولى، يُفقد الثقة، ويُشعرهم بالتربص، ويجعل من يرغب حقيقة بالحوار معهم موضع تهمة وريبة، وهذا ينقص من فرص الرجوع عن آرائهم أو عرضها من أجل النقاش والحوار. فكثير من الشباب الذين انضموا لهذه الجماعات لم ينالوا حظهم من العلوم الشرعية التى تعصمهم من هذا الفكر، وبالتالي فينبغي النظر إليهم أنهم ضحايا لهذا الفكر، وبعضهم اقتادته مشاعر الخيبة والإحباط والسخط على الواقع الذي يعيشه وما يراه من قصف ودمار للأبرياء، والبطء العالمي في الاستجابة لوقف المجازر والتهجير القسري. لذا لابد من الترفق واللين بهؤلاء الشباب والتعامل معهم أنهم أسارى لهذا النهج. فدعوتهم للحوار

هى رسالة صادقة عن هذا الشعور، واستعداد للاستماع منهم، ورغبة في تجنب الصراع وأعمال العنف، وعليه فلابد من فتح قنوات للحوار والتواصل علناً مع الشباب من قِبل العلماء والدعاة، وتفنيد شبهات الغلو والتكفير بمنهج علمى وروح فكرية على نحو وسطى معتدل. والحوار مع المخالف منهج قرآنى، وأسلوب نبوى، وطريقة أصحاب رسول الله الكرام، والعقلاء فى كل زمان ومكان، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾[٦٠]، وقال تعالى في موضع آخر ترغيباً في الحوار مع المخالف: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[٦١]. فاللجوء إلى العنف هو أسلوب من أعيته الحجة، وفيه إغلاق لباب الحوار، وحجر على التفكير، ولا يتناسب مع المنهج الربانى والهدي النبوي فى تصويب الخطأ، بل إنه من أساليب العتاة الذين لا يتصورون وقوع الخلل منهم، وقد حكى القرآن هذا الأسلوب في قصة ابني آدم عليه السلام، قال تعالى:﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ﴾[٦٢].

وأورد الله سبحانه مثال فرعون في تسفيهه لقومه، وتعسفه في ادعاء الحق، وأنه يمتلك الحق المطلق، قال تعالى: ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾[٦٣]. والقرآن الكريم زاخر بالأمثلة في دعوته للحوار، وقد حاور حتى إبليس، ليقيم عليه الحجة. فمن الوسائل الناجحة، أن تُشكل لجان من العلماء الراسخين، والدعاة المخلصين، فيعرضوا الشبهات أمام الشباب ويسمعوا منهم تفسيراتهم، واستنباطاتهم، وآراءهم، ويناقشوها، ويفنّدوها بالحجة والبرهان، مع المجادلة بالحسنى، وبالمناصحة واللين. وقد مر معنا كيف ناقش ابن عباس رضي الله عنه الخوارج، فرجع منهم أكثر من ألفين عندما أزال عن عقولهم ما اعتراها من الشبهات، وبان وَهنُ مذهبهم، فعادوا وتابوا. فيتوجب إذن فتح الأبواب والقلوب دائماً للمتراجعين، ولمن تاهت بهم السبل. ولابد من توفير مراكز رعاية علمية ونفسية ومسلكية، تعيد احتضان هؤلاء وتأهيلهم للاندماج في المجتمع. يقول الدكتور عبد الكريم بكار: "الشباب الغالي والمتطرف هم بمعيار من المعايير عبارة عن ضحايا لبعض الظروف أو الخديعة من جهة أو طرف من الأطراف، ولهذا فلا بد من التفكير في استيعابهم ..."[٦٤]. والواقع أنه وبعد كل هذه الموجات من الغلو، وهذا الكم من العنف، لازال هناك قصور في الحوار بشقيه الوقائي والعلاجي. فعوائد الحوار لا تكون فقط على

مستوى الغلاة، بل تكون بمثابة وقاية من الوقوع فريسة لهذا الفكر أيضاً، فالحوار وقاية للشباب الذين لم يتعرضوا له، وعلاج ناجع لمن تخطَّفه هذا النهج. ومن وسائل الوقاية أن تفتح القنوات العامة، والدورات التدريبية، والندوات العلمية، وأن تتاح الفرصة للحوار العلني بين العلماء وأهل الاختصاص ورؤوس هذا الفكر ومنظريه، وبذلك يتم انكشاف منهجهم أمام الجميع، ويتم دحضه واستبداله المنهج الفطري العلمي الوسطي المعتدل به. إذن لابد من الحكمة في هذه الخطوة وإلا انقلب الأمر إلى نقيضه.

المطلب الثاني: إصلاح التعليم الديني

المطالبة بإصلاح التعليم الديني دعوة عريضة وفضفاضة، وأحياناً تختبئ ورائها أهداف للنيل من الدين نفسه، ولتهوين شأنه في دنيا الناس، ولعزله عن نظام الحياة. فالبعض يريد للدين أن يبقى حبيساً في المساجد أو في مراكز الإفتاء، أو مجرد طقوس في العبادات الموسمية، أو منهجاً فردياً لا صلة له بمناحي الحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والقانونية، والأدبية، والفنية. والحق أن حصر الدين في دور العبادة كحصر علم الأحياء وعلم تصنيع الدواء في المختبرات، دون أن يكون لهما أثر في واقع الحياة.

وبالمقابل، كانت هناك دعوات مخلصة، من أهل الاختصاص والعاملين في حقل العلوم الإسلامية، تطالب بالنقد الذاتي، وبمراجعة المناهج وأساليب التعليم الديني، وإعداد المدرسين المتمرسين في علوم الشريعة والعلوم الأخرى المتصلة بها. ولتطويق الغلو، وقاية وعلاجاً، لابد من مراجعة صريحة لما يُدرس في مناهج التعليم الشرعي، والوقوف على المآخذ التي تعتري التعليم الديني، لعلاج الاضطرابات التي تتسبب بالغلو في الدين، والتكفير. وفيما يلي توصيف لما نراه من المثالب الموجودة في التعليم الديني وطرق إصلاحه:

أولاً: التخصص، فالتعليم الديني ليس حكراً على فئة من الناس، وليس محصوراً في بلد دون غيره، ولا يحمل لواءه طبقة دون سواها، بل هو واجب كل مسلم بأن يتعلم ما يصحح به عباداته ومعاملاته، ولكن الحديث هنا عن التخصص والاشتغال بجانب الإصلاح الروحي والعلمي في حياة المسلمين، فالتخصص في العلوم الإسلامية بات ضرورة ملحة، وإلى جانب التمكن العلمي، لابد أن ينال الدارس للعلوم الشرعية حظه من الخصائص النفسية والذهنية والأخلاقية التي ترشحه لتبليغ الرسالة نقية كما هي،

وترجمة حقائق الدين في الحياة العملية. وقد امتلأت المدارس الدينية في سوريا بأعداد هائلة من الطلاب منهم من دفعته الرغبة، ومنهم من تعثر ولم يتمكن من دخول المدارس العامة ظاناً أن التعليم الديني أسهل، فاختار أولياؤه له التعليم الديني، ومنهم من دفعه الفقر لأن التعليم الديني غالباً بدون مقابل، أو بمقابل زهيد جداً، وفي بعض الأحيان تُدفع للطلاب أجورٌ لقاء التحاقهم بهذه المعاهد الدينية. وعلى المستوى الجامعي كان يدخل تخصصات الشريعة من المبرزين ممن تخرج من هذه المدارس الدينية، أو من لم يفلح في دخول تخصصات أخرى، فمعدله العام لا يتيح له سوى الدراسة في كليات الشريعة والمعاهد الدينية، ومنهم من دخل بسبب الوساطات الحزبية، فلقد كان للحزب الحاكم في سوريا مثلاً حصة في لوائح القبول الجامعي في كلية الشريعة في جامعة دمشق. وعادة ما يشغل هؤلاء بعد تخرجهم وظائف في الدوائر التربوية، والدعوية، وقد يكون لديهم عزوف بطبائعهم عن هذه الوظائف، لكنهم سيقوا بسبب ظروفهم سوقاً لهذه الدراسة. ومثل هؤلاء لا يقوم بهم دين ولا تنهض بهم دنيا. لذا لابد من تكوين فئة خاصة يتم اختيارهم حسب رغبتهم الشخصية من أهل الهمة العالية، تتفرغ للتفقه في الدين، وتحيط بعلومه، مع دراسة مناهج الفقهاء وأسباب الاختلاف الفقهي، وآداب الاختلاف، والاطلاع الواسع على المعارف الإنسانية المختلفة، وتاريخ الأديان، وحضارات العالم القديمة والحديثة، وتدرس حاضر العالم الإسلامي أيضا. وهذا ما يعين المتعلم على اعتدال المزاج، وتوازن العواطف، وفتح باب المقارنة، والتفكير الناقد، وبهذه المنهجية يرجى تجاوز الفتن التي تحدث حول تقصير الثياب، أو الصلاة بالنعل، أو حلق اللحية وتقصيرها، ثم تنتهي بالتكفير والاعتداء على الأموال والدماء، ويحسب أصحابها أنهم يحسنون صنعاً. ومن يصيبه الحنق من هذه المسائل، لا شك أن لديه مزاجاً مختلاً، وهو يقدم التهمة على البراءة، والعنف على فهم الدليل، وهو رهين وساوس الشيطان، وليس له حظ وافر من العلم.

ثانياً: المناهج، ويقصد هنا بالمناهج النظام التعليمي، والرؤى التربوية، وطرائق التدريس، والمحتوى المعرفي، وأهداف التعليم، والمخرجات المأمولة. لا تحظى التربية الإسلامية في المدارس العامة في سوريا بالعناية المطلوبة في الخطة الدراسية في وزارة التربية، فهي تُدَرَّس لمدة ساعة واحدة في الأسبوع لصفوف الحلقة الأولى (الصف الأول والثاني)، وساعتين من الصف الثالث حتى الثاني عشر، ودرجتها لا

تحتسب من محصلة المجموع العام الذي يؤهل الطلاب لدخول الجامعة. وهناك مطالبات بإلغاء مادة التربية الدينية من المنهاج الدراسي بشكل كامل لأنها لا تدخل في المعدل العام! واستبدال مادة "الأخلاق" بها بحيث يدرسها جميع الطلاب من جميع الديانات والنِّحل، وفي الجامعة لا يوجد أي مادة لها صلة بالثقافة الإسلامية، إلا في كليتي القانون والأدب العربي. هذه خلاصة الموقف الرسمي من مادة التربية الإسلامية.

أما في المدارس الدينية، أو الكليات الشرعية، فهناك – بطبيعة الحال – اهتمام واسع بتحصيل العلوم الشرعية، ولكن هناك قصور في تحصيل المعارف الإنسانية والدراسات الكونية، ولابد من التوازن في تحصيل هذه العلوم لأنها تولد عند المتعلم طاقة عقلية وذهنية عالية، تعينه على استيعاب علوم الوحي. ومما يؤخذ على المعاهد الدينية وكليات الشريعة، التباين الواسع في بناء المحتوى التعليمي، فهي تستفيض أحياناً في قضايا الخلاف، والفِرق، ومسائل علم الكلام، والنيل من المخالف، وهذا ما يؤدي للتعصب والتصلب في الرأي. وعلى نطاق واسع نرى محتوى المنهاج في بعض مؤسسات التعليم الديني في العالم الإسلامي مثلاً يقوم على محاربة "البدع"، وتعظيم مبدأ "الولاء والبراء"، ونبذ الشرك، والهجوم على التمذهب بالمذاهب الفقهية المعتبرة، واتباع منهج "السلف"، ومحاربة التصوف. وفي الطرف الآخر، مناهج قائمة على الاهتمام بالجانب الروحي، وفقه العبادات، وجانب من فقه المعاملات الذي طرأ على واقعه الكثير من التغييرات. فالغلو في تدريس هذه الجزئيات المبتورة دون الاستيعاب لجملة الأحكام التي جاء بها الإسلام على المستوى الاقتصادي، والاجتماعي، والسياسي، والأخلاقي، مع إدراك الغايات والمقاصد من الأحكام، سيغرق الدارس في التفاصيل، وسيجعل من هذه التشريعات دفينة في الكتب، ولا تظهر إلا في ساحات الجدال والمراء. وهذا لا ينفي وجود علماء، وتلاميذ برعوا في تجاوز هذه الحواجز، وعملوا على التقريب في وجهات النظر، والخروج بنظريات جديدة في إعداد مناهج التعليم الديني، تجمع بين طرائق السلف والخلف، وتقارن بين المذاهب الفقهية، وتختار ما هو أصلح وأصوب، واستطاعت أن تُظهر الانسجام والتكامل بين علوم الشريعة ومقاصدها، ولم تدَّع احتكار الحق، وهذا ما ينبغي السير عليه إلى نهاية المطاف لمن أراد أن يحدث إصلاحاً في التعليم الديني يشكل مناعة من الغلو

والتكفير. وينبغي لهذا المنهج أن يحتوي على موضوعات تستجيب للواقع وتساير أحداثه بروح علمية أصيلة، كالموضوعات المتعلقة بمقاصد الشريعة، وأدب الخلاف، وفقه الأولويات، وفقه التعايش، وفقه المواطنة، وفقه النوازل، لتشكل بناء معرفياً متصلاً بالواقع الحياتي.

ثالثاً: المدرس، فهو يشكل دعامة أساسية في عملية التعليم، فبالإضافة لأهمية تأهيله تأهيلاً علمياً ونفسياً مكيناً، لا يُغفل الجانب السلوكي للمدرس أو العالم الذي سيخوض غمار التعليم الديني. والمعصوم من عصمه الله، لكن لابد من توفر قدر من الاستقامة، أدناها عدم مخالفة العمل للقول، وألا يتردد في تصويب الأوضاع الاجتماعية والعادات والتقاليد، وأن يجاهد في إصلاح نفسه، ليقوى على إصلاح غيره، وأن يكون جسوراً وحكيماً. والناس يكفيها من أهل المهن والحرف الأخرى مهارتهم، أما المشتغل في العلوم الدينية فلا يُقبل منه حتى يصدِّق عملُه قولَه، قال تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[٦٥]. وآفة التعليم علماء السوء، الذين يحسبون كل صيحة عليهم، فهم وبال على الدين والدنيا، لأنهم يحرّفون الكلم عن مواضعه، ويفقدون الناس الثقة بأهل العلم، فيقع الشباب فريسة للغلو لأن طبع الغلاة التزود من الطاعات، وإظهار شارات التدين، وإظهار إيثار الآخرة على الدنيا، وهي خصال حميدة وجاذبة للكثيرين بلا شك. قال الإمام ابن أبي العز الحنفي رحمه الله: "وأحبار السوء، وهم العلماء الخارجون عن الشريعة بآرائهم وأقيستهم الفاسدة، المتضمنة تحليل ما حرم الله ورسوله، وتحريم ما أباحه، واعتبار ما ألغاه، وإلغاء ما اعتبره، وإطلاق ما قيده، وتقييد ما أطلقه، ونحو ذلك"[٦٦]. والحق أن فساد بعض العلماء كان سبباً في عللٍ كثيرة في المجتمع، تبعه انحسار في الدور الإصلاحي لبعض المؤسسات التعليمية الدينية. وحتى تعود هذه المؤسسات لدورها المأمول، لابد من إصلاحها داخلياً فيرعى القائمون عليها حق الله في أنفسهم، ومن يعلِّمون، وحق المجتمع عليهم في النصح، والقيام بأمر الله، فقصور العلماء عن دورهم مهلكة للجميع، قال الإمام الآجري رحمه الله مبيناً دور العلماء وفضلهم: "العلماء سراج العباد، ومنار البلاد، وقوام الأمة، وينابيع الحكمة، هم غيظ الشيطان، بهم تحيا قلوب أهل الحق، وتموت قلوب أهل الزيغ، مثلهم في الأرض كمثل النجوم في السماء، يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، إذا انطمست النجوم

تحيروا، وإذا أسفر عنها الظلام أبصروا"[٦٧].

إذن فركائز الإصلاح في التعليم الديني قائمة على أركان ثلاثة: اختيار المتخصصين بعناية، وتمكينهم، وانتقاء المنهاج الذي يجمع بين علوم الدين وبقية المعارف الإنسانية، وبذلك يمكن ملء الفراغ الذي يتمدد فيه الغلو.

المطلب الثالث: تجفيف منابع الظلم، وكفالة الحريات

يولد الغلو وينشأ في أحضان الاستبداد، والظلم، وهضم الحقوق، وترويع الآمنين، وتغييب الأبرياء في المعتقلات، والإعدامات الميدانية، والتسلط على رقاب العباد، ونهب المقدرات، واتباع سياسات التجويع، وغياب المحاسبة للمتنفذين، ورهن القرار الوطني لمن لا يرعى في الناس ومصالحهم إلاً ولا ذمة. ولقد ابتليت سوريا بهذه الآفات لفترة طويلة من الزمن. فأعداد الضحايا منذ عام ٢٠١١ تجاوزت نصف مليون، وهجِّر أكثر من خمسة ملايين خارج سوريا، وما يقارب ستة ملايين نازح داخل سوريا وفي المخيمات الحدودية[٦٨]، لذا استغل القادمون من وراء الحدود هذه الأوضاع، فنشروا فكرهم التكفيري، وغلوَّهم النظري والعملي. ولعلاج ظاهرة الغلو والتكفير، لابد من رفع الظلم، وبث الطمأنينة، وصيانة الكرامة، وتعظيم شأن الدماء، والأعراض، والأموال، وتوزيع الثروات بالعدل. فإن البيئة التي تسود فيها العدالة، ويتصالح فيها الحاكم مع المحكومين، وتغيب فيها مظاهر التفرد في الحكم، ويتولى فيها أمور الناس خيارهم، ويُستبعد عن شؤون الحكم شرارهم، وتُعزز فيها مبادئ الشورى، وتُقاوم مظاهر التسلط والدكتاتورية، ويُناهض فيها اضطهاد المستضعفين، هذه البيئة ستتلاشى فيها نابتة الغلو، وتتعفن فيها بذرة التكفير. وطالما بقي الفساد السياسي والاقتصادي والثقافي ضارباً بأطنابه في المجتمع، فإن الغلو والتكفير باقيان بين تمدد وانحسار لأنهما يقتاتان على الظلم والاستبداد. هناك أبواب كثيرة من الشرور يمكن إغلاقها بإصلاح الوضع السياسي والاقتصادي والإنساني والمعرفي، وفي مقدمتها معالجة الجهل الذي يُعد عاملاً رئيساً في ظاهرة الغلو والتكفير، وضمان الحرية التي تُعد مقصداً أسمى في تعاليم الإسلام. ولا يطيق الفرد المكلف أن يحيى حياة كريمة دون صيانة كرامته وكفالة حريته. فطبيعة الإنسان أنه يضيق ذرعاً بالتهوين من شأنه، أو بإهدار إنسانيته واستعباده، وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة حتى في العقيدة التي تكون سبباً في الثواب والسعادة الأبدية، أو العقاب والشقاء

الأخروي، فقد أناط الله عزوجل قبول الحق بالحرية والاختيار، لا بالقسر والإجبار، قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(٦٩). فالإسلام رسم طريق العقيدة منذ البداية بناء على الإرادة والاختبار، فأزال العوائق التي حجبت الفطرة الإنسانية عن رؤية الحق، وجعل الناس سواسية كأسنان المشط، وضمن الحياة الكريمة التي تتكافأ فيها الدماء، وتذوب فيها الفوارق بين الناس، وتُكفل فيها الحقوق، وينتفي منها الظلم والبغي والعدوان، ويسود فيها العدل والإحسان. والفقه الإسلامي زاخر في أبوابه بأحكام الولاية على المظالم، ورد الحقوق، والاستماع للخصوم.

وأخبار عدل الخلفاء الراشدين، والولاة الصالحين، والأمراء الأمناء مع الرعية مبسوطة في كتب السير، وكتب السياسة الشرعية. فقد رسخوا مبدأ المراجعة والمحاسبة للخليفة، وعندما بويع أبو بكر رضي الله عنه بالخلافة، كان أول ما حدَّث به الناس في خطبته دعوته لهم إلى أن يعينوه إذا أحسن، ويصوبوه إذا أساء، وبين لهم أن طاعته مرهونة بمدى التزامه بطاعة الله ولرسوله(٧٠). وهكذا مضى منهج الخلفاء الراشدين، وهكذا كانت سنتهم في الحكم، لا أحد فوق النقد أو المناقشة والمعارضة بالرأي طالما كانت المصلحة هي المقصد. وسار على ذلك الولاة من بعدهم ممن اتبع هديهم، فقد أورد الإمام الذهبي عن الإمام عطاء بن أبي رباح رحمه الله قال: "حدثتني فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز قالت: دخلت عليه، فإذا هو في مصلاه، يده على خده، سائلة دموعه، فقلت: يا أمير المؤمنين، ألشيء حدث؟ قال: يا فاطمة، إني تقلدت أمر أمة محمد ﷺ فتفكرت في الفقير الجائع، والمريض الضائع، والعاري المجهود، والمظلوم المقهور، والغريب المأسور، والكبير، وذي العيال في أقطار الأرض، فعلمت أن ربي سيسألني عنهم، وأن خصمهم دونهم محمد ﷺ فخشيت ألا تثبت لي حجة عند خصومته، فرحمت نفسي، فبكيت"(٧١). وهذا خير دليل على أن الحكم في الإسلام تكليف وليس بتشريف، وهكذا نظر إليه العدول من الحكام والولاة.

وقد تضافرت الأدلة في الوعيد على خيانة الأمانة فيمن تولى شيئاً من أمر المسلمين، فعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد استرعاه الله رعية، فلم يُحطها بنصيحة، إلا لم يجد رائحة الجنة"(٧٢). وعن

ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: "لا يَسْتَرْعي الله تبارك وتعالى عبداً رعيةً، قَلَّتْ أو كَثُرتْ، إلا سأله الله تبارك وتعالى عنها يوم القيامة، أقام فيهم أمرَ الله تبارك وتعالى أم أضاعه، حتى يسألَه عن أهل بيته خاصةً"(٧٣). فالحاكم العادل يشعر بأن الإمارة أثقال في الدنيا، للقيام بمصالح الناس، وأمانة يُسأل عنها يوم يقوم الأشهاد، وليست منصباً فخرياً للتعالي والمجد. فلا مناص في معالجة جذور الغلو من إشاعة جو الحرية، وإتاحة الفرصة للمشاركة في النقد البناء، والابتعاد عن المواجهة بالقوة والقهر، مع رفع المظالم، وضمان الحقوق، وكفالة الحريات. فمن الأسباب النفسية التي تدفع للغلو التهميش والكبت الذي يعانيه الشباب، فلابد من الاستماع الجاد لآرائهم، واستثمار طاقاتهم الهائلة في المشاريع التي تخدم مجتمعاتهم، وتنمي مهاراتهم، وتؤمّن لهم فُرص الكسب والسعي. حاولت بعض البلاد مواجهة الغلو بالعنف فازداد الأمر سوءاً، واتسعت دائرة الغلو، وتحول الأمر إلى صراع دائم، وانعدم الأمن، وعاش الناس في قلق ورِهاب، وأدت هذه الطريقة لمضاعفة أعمال العنف، ولمزيد من التكفير. وإذا استمرت المعالجة الأمنية الصارمة للغلو، فلن يتم القضاء عليه، بل سيتوالد وينبت من جديد، وإنما المعالجة الحكيمة تكون باجتثاث أسبابه ومكوناته، ومن أهمها: الظلم، والقمع، والاستبداد، والفساد في مجالات الحكم وإدارة البلاد.

المطلب الرابع: ترسيخ دور المرجعية الشرعية

إن من أهم مسببات الغلو وانتشار التكفير، غياب المرجعية الشرعية، وتقلص دور العلماء في الحياة العامة، فقد عمد النظام الحاكم في سوريا مثلاً إلى الاستحواذ على المؤسسة الدينية، ومصادرة الخطاب الديني لخدمة مصالحه وتثبيت أركان حكمه. وأصبح الإفتاء منصباً رسمياً يفتقر إلى المصداقية، فشهدت الساحة السورية في ظل الأحداث التي عاشتها البلاد، حالة فوضى على مستوى الفتاوى والآراء الفقهية. لذا تشكلت الكثير من الروابط والهيئات والمجالس الشرعية لتسد الفراغ الذي أحدثه النظام وخاصة في المناطق التي لم تعد خاضعة له. وقد كان لغياب المرجعية الشرعية أثر واضح من خلال انتشار أفكار الغلو والتكفير، وسيطرة خطاب الغلو على المنابر الدعوية، واضطر الكثير من العلماء والدعاة إلى مغادرة سوريا تخلصاً من بطش النظام الحاكم. وللوقاية والعلاج من آفات الغلو لابد من التأكيد على دور المرجعية الشرعية، تشكُّلاً وفاعلية، ومسؤولية. فماذا يُقصد بالمرجعية الشرعية، وما

دورها في علاج الغلو والتكفير؟

إن مصطلح المرجعية الشرعية لم يرد في النصوص بشكل مباشر، ولكن يوجد ما يشير إلى هذا المفهوم عند استقراء النصوص التي تأمر بالرجوع لأهل العلم والاحتكام إلى أهل الاستنباط. وقد شاع استخدام هذا المصطلح في العصور المتأخرة ويراد بها: الهيئة أو الجهة التي تضم عدداً من علماء الشريعة لبحث ودراسة النوازل، والمستجدات، بغية معرفة الحكم الشرعي لها، فهم قِبلة المستفتين والحيارى في عالم الأحكام الشرعية. وهي بهذا الوجه تتداخل مع مصطلح أهل الحل والعقد، وتفترق عنه بأن أهل والحل والعقد قد يضم أناساً من أهل الخبرة والتجارب من غير أهل العلم الشرعي الاصطلاحي، قال الإمام الجويني رحمه الله في إشارته إلى أهل الحل والعقد: "الأفاضل المستقلون، الذين حنكتهم التجارب، وهذبتهم المذاهب، وعرفوا الصفات المرعية فيمن يناط به أمر الرعية"(٧٤).

والمرجعية الشرعية تتمثل في أصول الأحكام الشرعية ومصادر استنباطها، كالقرآن والسنة والإجماع والقياس، وهي ما يطلق عليها بالمصادر الأولية للأحكام، أو المصادر الفرعية التي تُعد أدوات التوصل إلى مراد الشارع. وقد اكتسب العلماء صفة المرجعية لتمسكهم بهذه الأصول، وقدرتهم على التعامل معها، والاستفادة منها في استنباط الأحكام الشرعية في دنيا الناس، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾(٧٥). فدور المرجعية الشرعية يتجلى في إظهار الأحكام الشرعية، وتوحيد الكلمة، ولمّ الشمل، وتشكيل تصور عند الناس حول القضايا التي تدور في حياتهم ومحيطهم. وهذا لا يعني بالضرورة حسم الخلاف في القضايا الجزئية، فهذا فيه تضييق على المكلفين، وإلحاق العنت والضرر بهم.

قامت بعض المؤسسات العلمية في العصر الحاضر بتمثيل دور المرجعية على مستوى العالم الإسلامي من خلال المجامع الفقهية، وفي الواقع السوري قامت أربعون رابطة وهيئة شرعية في عام ٢٠١٤ بتوحيد نفسها بجسم واحد تحت مسمى (المجلس الإسلامي السوري)، ويتمثل دوره في إيجاد البديل عن المؤسسات الرسمية الدينية في سورية، وتشكيل مرجعية شرعية معتدلة للمجتمع السوري. وهو مؤسسة

مستقلة، أخذت على عاتقها مواجهة خطر الغلو، تصدر عنها الفتاوى والبيانات لجلاء الموقف من جماعات التكفير في سوريا وعلى رأسها داعش، وقد قامت بدور إيجابي في فضح مقولات الغلاة، وإدانة أعمالهم الإجرامية، ونشرت بعض الأبحاث العلمية الرصينة في نقد منهجهم، وكشف جهلهم بالأحكام الشرعية، واستهانتهم بالدماء والأعراض والأموال.

ولم يخل زمن من الأزمان دون وجود المرجعية الشرعية، التي تبين الأحكام، وتفتي الناس، وتنشر العلم. وواجب الناس الرجوع إليها فيما يهمهم من قضايا، قال الإمام الغزالي رحمه الله: "إذا لم يكن في البلدة إلا مفت واحد وجب على العامي مراجعته. وإن كانوا جماعة فله أن يسأل من شاء ولا يلزمه مراجعة الأعلم كما فعل في زمان الصحابة إذ سأل العوام الفاضل والمفضول ... بل لا تجب إلا مراجعة من عَرفه بالعلم والعدالة وقد عُرف كلهم بذلك"(٧٦). فالعلماء يمثلون المرجعية الشرعية في أجلى أدوارها، وأوضح صورها، فقد كلفهم الله بحفظ الشريعة، وبيان أحكامها، وتبليغها للناس، قال الإمام ابن جماعة رحمه الله: "أما العلماء القائمون بحملها المعنيون بحفظها ونقلها، فهم المرجع في حلالها وحرامها، ومواقع أحكامها"(٧٧). والمرجعية الشرعية لها نوعان: مرجعية عليا تتمثل بالنصوص وهي تتسم بالعصمة، ومرجعية معالجة ومفسِّرة للنصوص، يجتهد علماؤها فيؤخذ منهم ويرد عليهم، من أصاب منهم فهو مأجور، ومن أخطا فهو معذور.

خلاصة القول، إن لوجود المرجعية الشرعية أثر كبير في مناهضة الغلو، وهي لا تتمتع بسلطان سياسي، وإنما بمؤهلات علمية، واستعدادات روحية تجعلهم أهلاً للاقتداء بهم، ولسماع كلمتهم، واستقبال توجيهاتهم بانشراح، وهذا ما يُفتقد في علاج الغلو والتكفير، فلازالت جهود العلماء في التصدي للغلو متفرقة، ومشاريعهم متبعثرة وبطيئة، ولعل مؤسسات الاجتهاد الجماعي تشكل حجراً أساساً في الوقوف في وجه الإفراط في الدين، ولكن القاعدة الجماهيرية لازالت في معزل عن قرارات المجامع الفقهية، وخاصة في وقت النوازل والأزمات، وتمكين المرجعية الشرعية الفردية والجماعية، واستقلالها التام، مطلب ملح من أجل مصلحة الدين والدنيا، وبذلك يتم حفظ بيضة الدين من عبث العابثين، وتأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين.

المطلب الخامس: تمكين الخطاب الوسطي

من أهم مداخل الغلو على المجتمع، وتغلغله في صفوف الأفراد، أن يتصدر للخطاب أنصاف المتعلمين، الذين لم يتمكنوا من إدراك حقائق الدين، واستيعاب خصائصه، ومعرفة مصادره، وغاياته الكلية. ومن آفات الخطاب الديني امتزاجه مع الخطاب السياسي، وانفصاله عن الواقع، فلا يشخص العلل، ولا يصف الدواء. ولعلاج مشكلة الغلو، لابد من مبادرة الأفراد والمؤسسات التي تتصف بالتأصيل المعرفي، والشرعي، وفهم الواقع، وحاجة المجتمع، فتبرز وسطية الإسلام كماهي دون محاباة أو تفريط بأصوله وقواعده، وتجلي جوانب اعتدال الإسلام في عقائده، وشرائعه، وتدرجه في الأحكام، وإصلاحه وصلاحه لكل زمان ومكان، وتحذر من السقوط في مغبة الغلو والتكفير، وتسعى لتعرية خطاب التشدد، وكشف مغالطاته، وخروجه عن مناهج الراسخين في العلم في تأصيل الأحكام وتنزيلها على الأفراد والواقع. مما لا شك ولا ريب فيه أن العلاج بهذا لن يكون بين عشية وضحاها، ولكن هذه الخطوات لابد منها، من أجل الوقاية والعلاج، فالمدة التي مكثت فيها جماعات الغلو في سورية، ودرّست فيها الأطفال والشباب، وغسلت أدمغتهم، تحتاج لجهود مضاعفة ولعمل دؤوب لإرجاع الأمور إلى نصابها. والخطاب الوسطي لا يقتصر على المسجد، بل ينطلق منه ليشمل الفضاء الإلكتروني، وخاصة في زمن ثورة الاتصالات، وتنوّع وسائل الإعلام.

لا يزال الخطاب السائد في الساحة السورية بعد تجربة الغلو قاصراً عن الوقاية من هذه الظاهرة، وبطيئاً في معالجة آثارها. ولن تتم المعالجة الناجعة إلا بشجاعة الطرح والحكمة في الخطاب، وتناول المواضيع التي يؤدي جهلها إلى الغلو، كمواضيع الجهاد، وقضايا الولاء والبراء، والحاكمية، والديمقراطية، وتأصيل الخلاف الفقهي، والاحتياط في تكفير المسلم، وعصمة الدماء والأعراض، وآداب الحوار والاختلاف في الرأي، ونوازل السياسة الشرعية، وبيان الثوابت والمتغيرات، والجزئيات والكليات في الدين. ومن أبرز سمات الخطاب الوسطي، إثبات مظاهر التيسير في أحكام الشريعة، ورفع المشقة عن المكلفين. فالخطاب الوسطي هو الذي يستوعب هذه الحقائق، ويطرحها بأسلوب علمي تأصيلي منهجي منضبط، حتى يكون ناجعاً ونافعاً في معالجة ظاهرة الغلو والتكفير.

لقد كثرت الدعوات إلى تجديد الخطاب الديني ووسطيته، وبعض هذه الدعوات لا يميز أصحابها بين الثوابت والمتغيرات، وبين القطعي والظني، وقد يخيل لأصحاب هذا الاتجاه أن التمسك بقواعد الدين الكبرى ضرب من التشدد والغلو، وهذه الاتجاه خارج عن إطار البحث، لأن الدعوة إلى تمكين الخطاب الوسطي، دعوة جادة لا يراد من وراءها تمييع الدين، ونقض ثوابته، والتفريط في قطعياته. ولا تحمل هذه الدعوة في طياتها محاباة لجهة، أو تحريفاً في دين الله، لأن هذا قد يقود لمزيد من الغلو والإفراط.

إنّ من أهم سمات الخطاب الوسطي مراعاة حال المخاطَب، وتنويع وسيلة الخطاب، بحسب الظروف المحيطة، وتعهد المخاطَبين حتى لا يسأموا، وأن يؤخذوا بالتدرج في التعليم، ويُختار لهم ما ينفعهم، ولا يُحدَّثون بما يشتبه عليهم، أو تقصر عنه أفهامهم، ويوازَن بين محتوى الخطاب والقدرات الذهنية المختلفة للناس. فقد أورد الإمام البخاري عن علي رضي الله عنه قال: "حدّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذَّب الله ورسوله"(٧٨)، وورد عن أبي قلابة رحمه الله قوله: "لا تحدّث بحديث من لا يَعرفه، فإن من لا يعرفه يضره ولا ينفعه"(٧٩). وإن خطاب الغلاة كان لا يخلو من المتشابهات، والتلبيس على الناس، ومخالفتهم مناهج أهل العلم في تأصيل الأحكام وتنزيلها.

والخطاب الوسطي ينطلق من الثوابت، ويزيل الشبهات ولا يقررها، ويجمع ولا يفرق، ويرغِّب ولا يرهب، وقد ورد عن عبد الله بن مسعود، قال: "ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة"(٨٠). ومن السمات الأساسية للخطاب الوسطي أنه لا يهدف لإثارة الجماهير عن طريق الشعارات الحماسية، والانفعالات العاطفية، وردود الأفعال، وإهدار الطاقات. لأن هذا يؤدي لتقديم أهل الحناجر القوية وتأخير أهل الاختصاص، من الفقهاء، والخبراء، والحكماء.

الخلاصة، إن الخطاب الإسلامي مبني على خطاب الله تعالى للمكلفين، وهو تبليغ مضمون الخطاب الإلهي للبشر، سواء تعلق بالاعتقاد، أو الأحكام، أو الأخلاق، أو المقاصد. وهذا يتطلب بناءً علمياً محكماً، وخصائص نفسية تعين على أداء المحتوى باتزان وحكمة، مع دراية بالواقع والحال، واختيار ما يلائمهما. قال الإمام الحسن البصري رحمه الله: "دين الله وُضع فوق التقصير ودون الغلو"(٨١)، فمن قل

فقهه وقع في أحدهما، إما في التقصير أو الغلو.

لا يقصد هنا الحديث في إثبات وسطية الإسلام، فقد سبق ذلك، وهو من خصائص هذا الدين ولكن تمكين الخطاب الوسطي العلمائي وإفساح المجال له في توجيه الناس، وعدم اتهام نوايا أصحابه، والتضييق عليهم، هو ما نطرحه هنا لعلاج ظاهرة الغلو والتكفير، وتقلص الحاضنة الشعبية لهما، وملء الفراغ المعرفي الموجود في الساحة الفكرية والثقافية.

الغلو أمر طارئ على الإسلام، والأصل الاعتدال واستقامة المنهج، وهذا ما يميز الإسلام كرسالة خاتمة لجميع الرسالات السابقة. وعلاج الغلو يكون بالعودة إلى ينابيع الإسلام الثرَّة الصافية، والتلقي عن أهل الذكر، فإن منشأ الغلو راجع إلى شدة الجهل بالدين، نقل عن الإمام الغزالي قوله: "ولو سكت من لا يدري لقل الخلاف بين الخلق"(٨٢).

الخاتمة:

من خلال هذه الدراسة، توصل البحث للنتائج الآتية:

١- الغلو بكل مظاهره وصوره هو نتيجة حتمية للجهل بالدين، ولظاهرة أنصاف المتعلمين. وهو مرتبط بالظروف الذاتية أيضاً للغلاة، وغالباً ما ينتج انحرافاً في المشاعر أخطاء في السلوكيات.

٢- ظاهرة الغلو في سوريا وليدة وليست حالة مستقرة في المجتمع السوري، والاتجاه العام هو ضد الفكر المغالي. وهذا يسهل العلاج إذا تكاتفت الجهود من أجل تعرية خطاب الغلو، والتركيز على بناء مشروع وطني لإبعاد خطر التكفير.

٣- أبرز مظاهر الغلو التي عانى منها المجتمع السوري تتمثل في الاستخفاف بالدماء، وتهديد السلم الأهلي، وتمزيق النسيج الاجتماعي.

٤- الخطوات العملية لمعالجة آثار الغلو تكون بمسارين اثنين: الأول علمي، وذلك بنشر قيم الوسطية والتسامح في الإسلام، وبالعناية بالعلوم الشرعية التي تشكل وقاية من الوقوع في الغلو. الثاني: عملي، وذلك بالتبني الجاد لقضية العدل والمساواة، ورفض كل أشكال الظلم والاستبداد، والدعوة إلى حكم وطني غير مؤدلج، يقف من الجميع موقفاً واحداً على أساس العقد الاجتماعي. وهذا يؤسَّس له بحوارات موسعة بين كل شرائح المجتمع لمناقشة نزعة الغلو، وأسبابه، وآثاره وطرق علاجه.

هوامش البحث:

(١) الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، (١٧٥هـ)، العين، ت: مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، القاهرة، دار ومكتبة : الهلال، د.ت، باب: الغين واللام، ومعهما غ ل و ، ج٤، ص: ٤٤٦.

(٢) الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (٣٩٢هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧، مادة" غلا، ج٦، ص: ٢٤٤٨.

(٣) سورة النساء، الآية: ١٧١

(٤) ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم وتبويب: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة، د.ت، ج١٣، ص: ٢٧٨.

(٥) الزحيلي، محمد، الاعتدال في التدين فكراً وسلوكاً ومنهجاً، دمشق، دار اليمامة للطباعة والنشر، ط٣، ١٩٩٢، ص: ١٠

(٦) ينظر: الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧، باب: رفك، ج:٢، ص: ٧٨٦. الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١. أبواب: الكاف والراء، ج: ١٠، ص: ١١٠.

(٧) ابن منظور، لسان العرب، ، باب: الكاف، ج:٥، ص: ١٤٨.

(٨) العامري، لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل الشاعر، معدود من الصحابة (٤١هـ)، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو الطماس، بيروت، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٤، من معلقته: (عفت الديار) ص:١١١.

(٩) سورة البقرة، الآية: ٦

(١٠) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (مرجع سابق)، ج:١، ص: ١٨٣.

(١١) الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، ط١، ١٩٩١، ص:٧١٥.

(١٢) Lister, Charles, Profiling Jabhat al-Nusra, The Brookings Project on U.S. Relations with the Islamic World, Analysis paper, U.S, ٢٠١٦, p:١٧.

(١٣) ينظر: سيد إمام، الجامع في طلب العلم الشريف، ص: ٨٥٧.

(١٤) البغدادي، أبو عمر، كلمة بعنوان: "قل إني على بيِّنة من ربي"، منشورة على الشابكة: https://archive.org/details/AboOmar_٢٠١٥٠٩

(١٥) البغدادي، أبوبكر، كلمة بعنوان: "انفروا خفافاً وثقالاً"، منشورة على الشابكة، https://archive.org/details/samavat٣_gmail

(١٦) ينظر: ابن عبد البر، التمهيد، ، ج:٢٣، ص: ٣٢٤.

(١٧) اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي (ت: ٤١٨هـ)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ت: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، السعودية، دار طيبة، ط٨، ٢٠٠٣، ج:٧، ص: ١٣٠٧.

(١٨) رواه البخاري، باب: قول الله تعالى: (تعرج الملائكة والروح إليه) [المعارج: ٤]، ج:٩، ص: ١٢٧، رقم: ٧٤٣٢. ورواه مسلم، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، ج:٢، ص: ٧٤١، رقم:١٤٣.

(١٩) رواه البخاري، باب: قوله تعالى (ومن أحياها)، ج:٩، ص: ٤، رقم الحديث: ٦٨٧٢. ورواه مسلم، باب: تحريم قتل الكافر بعد أن قال: لا إله إلا الله، ج:١، ص: ٩٧، رقم الحديث: ٩٦.

(٢٠) رواه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى : ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم، ج:٩، ص: ٢، رقم: ٦٨٦٣.

(٢١) سورة البقرة، الآية: ٢٦٩.

(٢٢) سورة المجادلة، الآية: ١١.

(٢٣) رواه البخاري، باب: من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين، ج:١، ص: ٢٥، رقم:٧١. ورواه مسلم، باب: النهي عن المسألة، ج:٢، ص: ٧١٩.رقم: ١٠٧٣.

(٢٤) الجامع في طلب العلم الشريف، ، ص:٤٨٨.

(٢٥) مجلة دابق، العدد ١٤، ص:١٢-١٧. وهؤلاء علماء ودعاة لهم أثر واضح في المجتمع الغربي.

(٢٦) النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)، التبيان في آداب حملة القرآن، ت: محمد الحجار، بيروت، دار ابن حزم، ط٣، ١٩٩٤، ص:٤٧.

(٢٧) الشاطبي، الاعتصام، ، ج:٢، ص: ٧٣٨.

(٢٨) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

(٢٩) سورة آل عمران، الآية:١٥٩.

(٣٠) سورة البقرة، الآية:٨٣.

(٣١) رواه البخاري، صحيح البخاري، باب: باب بعث أبي موسى، ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ج:٥، ص: ١٦٢، رقم:٤٣٤٤. ورواه مسلم، صحيح مسلم، باب: في الأمر بالتيسير وترك التنفير، ج:٣، ص: ١٣٥٩، رقم:١٧٣٣.

(٣٢) Radicalised jihadists have done untold damage to Islam's image https://www.economist.com/special-report/٢٠١٩/٠٢/١٤/radicalised-jihadists-have-done-untold-damage-to-islams-image, February ١٤/٢٠١٩.

(٣٣) القرافي، الفروق، ، ج:١، ص:٣.

(٣٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، باب: ما أسفل من الكعبين فهو في النار، ج:٧، ص: ١٤١.

(٣٥) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ، ج:٢١، ص: ٢٩٧.

(٣٦) رواه البخاري، صحيح البخاري، باب: من جر إزاره من غير خيلاء، ج:٧، ص: ١٤١، رقم:٥٧٨٤.

(٣٧) بفتح الباء وكسرها، كل ما كثف والتف، قالوا: شاة أنبجانية كثيرة الصوف ملتفة، وقال الأصمعى: يقال: كساء منبجانى منسوب إلى منبج، وهي مدينة في سوريا شرقي حلب ٨٠كم. ينظر: ابن بطال، شرح صحيح البخاري، ج:٢، ص: ٣٧.

(٣٨) ينظر: ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٩٩٤، ج:١، ١٣٨.

(٣٩) ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ت: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٧هـ، ج:٥، ص: ٥١١، رقم: ٢٨٤٩٣.

(٤٠) سورة البقرة، الآية: ٨٣. ينظر: النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، الناسخ والمنسوخ، ت: محمد عبد السلام محمد، الكويت، مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠٨هـ، ص:١٠٣. حكاه النحاس عن قتادة.

(٤١) ينظر: القرطبي، تفسير القرطبي، ، ج:١٨، ص:٥٩.

(٤٢) الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧، ج:، ص:٤٢.

(٤٣) ينظر: ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٧، ج:٥، ص: ٥٣٨.

(٤٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٤٥) أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ط)، ج:١، ص:١٧٢.

(٤٦) سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

(٤٧) سورة القلم، الآية:٢٨.

(٤٨) رواه مسلم، باب: هلك المتنطعون، ج:٤، ص: ٢٠٥٥، رقم: ٢٦٧٠.

(٤٩) رواه البخاري، باب: ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، ج:٨، ص: ٢٧، رقم:٦١١٠. ورواه مسلم، باب: أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ج:١، ص: ٣٤٠. رقم:٤٦٦.

(٥٠) رواه البخاري، باب الجلوس على الحصير ونحوه، ج:٧، ص: ١٥٥، رقم:٥٨٦١. ورواه مسلم، باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره، ج:١، ص: ٥٤٠، رقم:٧٨٢.

(٥١) ينظر: النووي، شرح النووي على مسلم، ، ج:٦، ص:٧٠.

(٥٢) سورة الحج، الآية: ٨.

(٥٣) سورة آل عمران، الآية:٦٦.

(٥٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

(٥٥) سورة طه، الآية: ٦١.

(٥٦) الذهبي، سير اعلام النبلاء، ، ج:١٦، ص: ١٠٤.

(٥٧) المرجع السابق، ج:٨، ص:١٠٦.
(٥٨) اللالكائي، شرح أصول الاعتقاد، ج:١، ص: ١٤٣.
(٥٩) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ، ج:١٤، ص:٤٠.
(٦٠) سورة الكهف، الآية:٣٧.
(٦١) سورة سبأ، الآية:٢٤.
(٦٢) سورة المائدة، الآية: ٢٧.
(٦٣) سورة غافر، الآية: ٢٩.
(٦٤) بكار، عبد الكريم، تفكيك ثقافة الغلو، ، ص:١٢٢.
(٦٥) سورة البقرة، الآية:٤٤.
(٦٦) أبن ابي العز الحنفي، شرح الطحاوية، ، ج:١، ص:٢٣٥.
(٦٧) الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت: ٣٦٠هـ)، أخلاق العلماء، ت: إسماعيل بن محمد الأنصاري، السعودية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٩٧٨، (د.ط)، ص:١٧.
(٦٨) https://www.unhcr.org/syria-emergency.html?query=syria, ١٤/٠٥/٢٠ ٢٠
(٦٩) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦..
(٧٠) ينظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج:٢، ص: ١٩٢.
(٧١) الذهبي، سير أعلام النبلاء، ، ج:٥، ص: ١٣١.
(٧٢) رواه البخاري، باب: من استُرعي رعية فلم ينصح، ج:٩، ص: ٦٤، رقم الحديث:٧١٥٠.
(٧٣) رواه الإمام أحمد، مسند عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ج:٤، ص:٣٤١، رقم: ٤٦٣٧. قال أحمد شاكر: إسناده صحيح.
(٧٤) الجويني، الغياثي، ، ص: ٦.
(٧٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٢.
(٧٦) الغزالي، المستصفى ، ج:١، ص: ٣٧٣.
(٧٧) ابن جماعة، أبو عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين (ت: ٧٣٣هـ)، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ت: فؤاد عبد المنعم أحمد، الدوحة، دار الثقافة، ط٣، ١٩٨٨، ج:١، ص:٨٧.
(٧٨) رواه البخاري، صحيح البخاري، باب: من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا، ج:١، ص: ٣٧، رقم:١٢٧.
(٧٩) ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ج:١، ص: ٥٤٠.
(٨٠) رواه مسلم، صحيح مسلم، ، باب: النهي عن الحديث بكل ما سمع، ج:١، ص:١١، رقم :٥.
(٨١) الشاطبي، ، الاعتصام، ج:١، ص: ٣٩٥.
(٨٢) الغزالي، فيصل التفرقة، ، ص:٧٤.

المصادر

١-ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي (ت: ٧٩٢هـ)، شرح العقيدة الطحاوية، ت: شعيب الأرنؤوط، عبدالله بن المحسن التركي، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١٠، ١٩٩٧.

٢-ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (ت: ٢٣٥هـ)، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، ت: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٧هـ.

٣-ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت: ٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، ت: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٧.

٤-ابن بطال: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (ت: ٤٤٩هـ)، شرح صحيح البخارى لابن بطال، ت: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، الرياض، مكتبة الرشد، ط٢، ٢٠٠٣.

٥-ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: ٧٢٨هـ)، الفتاوى الكبرى، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٨٧.

٦-ابن حجر، أحمد بن علي أبو الفضل العسقلاني الشافعي (٨٥٢هـ)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ترقيم وتبويب: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار المعرفة، د.ت.

٧-ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (ت: ٤٦٣هـ)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، ت: محمد التائب ، سعيد أحمد أعراب، المغرب، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط٣، ١٩٨٨.

٨-ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت: ٧٥١هـ)، زاد المعاد في هدي خير العباد، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٢٧، ١٩٩٤.

٩-ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين (٧١١هـ)، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٩٩١.

١٠-أبي السعود، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: ٩٨٢هـ)، تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ط).

١١-الآجري، أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجُرِّيُّ البغدادي (ت: ٣٦٠هـ)، أخلاق العلماء، ت: إسماعيل بن محمد الأنصاري، السعودية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد ١٩٧٨.

١٢-الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (٣٢١هـ)، جمهرة اللغة، ت: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧.

١٣-الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، ت: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ٢٠٠١.

١٤-الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (٥٠٢هـ)، المفردات في غريب القرآن، ت: صفوان عدنان الداودي، دمشق، دار القلم، ط١، ١٩٩١.
١٥-البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي (٢٥٦هـ)، صحيح البخاري، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر،بيروت، دار طوق النجاة، ط١، ٢٠٠١.
١٦-بكار، عبد الكريم، تفكيك ثقافة الغلو، اسطنبول، رؤية للثقافة والإعلام، ٢٠١٥.
١٧-بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠١.
١٨-الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (٣٩٢هـ) ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٩٨٧.
١٩-الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت: ٤٧٨هـ) ، الغياثي غياث الأمم في التياث الظلم، ت: عبد العظيم الديب، القاهرة، مكتبة إمام الحرمين، ط٢، ١٤٠١هـ.
٢٠-الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت: ٧٤٨هـ)، سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرناؤوط، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٩٨٥.
٢١-الزحيلي، محمد، الاعتدال في التدين فكراً وسلوكاً ومنهجاً، دمشق، دار اليمامة للطباعة والنشر، ط٣، ١٩٩٢.
٢٢-الزركشي، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧.
٢٣-الشاطبي، ابراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الاعتصام، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي. السعودية، دار ابن عفان، ط١، ١٩٩٢.
٢٤-العامري، لَبِيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل الشاعر، (٤١هـ)، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو الطماس، بيروت، دار المعرفة، ط١، ٢٠٠٤.
٢٥-عبد القادر بن عبد العزيز (سيد إمام)، الجامع في طلب العلم الشريف، تعليق: أبو محمد المقدسي، موقع منبر التوحيد والجهاد الالكتروني.
٢٦-العيني، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بيروت، دار إحياء التراث العربي، (د.ت).
٢٧-الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، المستصفى، ت: محمد عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣.
٢٨-الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، (١٧٥هـ)، العين، ت: مهدي المخزومي، وابراهيم السامرائي، القاهرة، دار ومكتبة : الهلال، د.ت.
٢٩-القرافي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي(ت:٦٨٤)، أنوار البروق في أنواء الفروق، الرياض، عالم الكتب، ١٩٩٨.

٣٠-القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ)، تفسير القرطبي، ت: أحمد البردوني وإراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٦٤.
٣١-اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي (ت: ٤١٨هـ)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، ت: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، السعودية، دار طيبة، ط٨، ٢٠٠٣.
٣٢-مجلة دابق، العدد، العدد ١٤.
٣٣-مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (٢٦١هـ) ، صحيح مسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي،د.ت.
٣٤-النحاس، أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت: ٣٣٨هـ)، الناسخ والمنسوخ، ت: محمد عبد السلام محمد، الكويت، مكتبة الفلاح، ط١، ١٤٠٨هـ.
٣٥-النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (٦٧٦هـ)، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط٢. ١٣٩٢هـ.
٣٦-النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف (ت: ٦٧٦هـ)، التبيان في آداب حملة القرآن، ت: محمد الحجار، بيروت، دار ابن حزم، ط٣، ١٩٩٤.

المراجع الأجنبية

١- Lister, Charles, Profiling Jabhat al-Nusra, The Brookings Project on U.S. Relations with the Islamic World, Analysis paper, U.S, ٢٠١٦.
٢- Radicalised jihadists have done untold damage to Islam's image https://www.economist.com/special-report/٢٠١٩/٠٢/١٤/radicalised-jihadists-have-done-untold-damage-to-islams-image, February ١٤/٢٠١٩.